الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي –بالأغواط-
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة
قسم التاريخ

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تاريخ و حضارة الشرق الإسلامي

التصوف في بلاد الشام ومصر خلال العصر الأيوبي

إعداد الطالبة:
– حيرش بشرى

إشراف الدكتور:
– أ.د/جعيرن معمر

السنة الجامعية: 2024/2023–1444/1445

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى من كان دعاؤها أنفاس حياتي... إلى من داوت كلماتها مصاعب حياتي

إلى الحنان والدفء..... إلى الحب والعطاء إلى (أمي حبيبة)

إلى من أنار لي الطريق، وزرع في نفسي الإخلاص والعزيمة في العمل، ورسم

لي دربا زينه الأمل..... (والدي الغالي)

إلى السند والعون.... صديقة روح وشريكة العمر.... (سارة بن أحمد)

إلى القلوب الطاهرة (أخواتي)

إلى سندي و ضلعي الثابت الذي لا يميل زوجي (محمد ياسين بن التواتي)

أتمنى لكم كل نجاح و التوفيق في حياتكم

إلى كل من يحمل لقب (حيرش)

إلى رمز الوفاء (أصدقائي)

إلى كل من كان له أثر أو لمسة في حياتي

إلى كل من ساعدني ويسر لي أموري ووقف إلى جانبي لإتمام هذا العمل...

أهدي هذا الجهد المتواضع مع المحبة والتقدير والاحترام.

بشرى

شـكـــــــر و تقديـــر

نشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين القائل في محكم التنزيل "فوق كَل ذي علم عليٌم " (سورة يوسف أية 76)

وقال رسول لله – صلى الله وسلم –:" من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأمتوه" (رواه أبو داود).

واعترافاً منا بالفضل وتقديراً للجميل لا يسعنا ونحن ننتهي من إعداد هذه الدراسة إلا أن نتوجه بجزيل شكر وامتناني إلى:

المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور (**جعيرن معمر**) صاحب الخلق الرفيع والعقل المنير والخبرة الواسعة والذي كان الأخ والأستاذ وهذان صفتان قلما تجتمع في شخص واحد والذي سرنا بتوجيهاته وتعليماته وإرشاداته لإنجاز هذا العمل فجزاه الله عنا أحسن الجزاء وجعل هذا العمل في ميزان حسناته والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة ممن سيقيمون هذا العمل ويضعون ملاحظاتهم لإغنائه وتحسينه فجزآهم الله كل خير.

وإن من واجب الوفاء يحتم علينا تسجيل الشكر والتقدير عظيم الامتنان وتقديري الوافر إلى كافة أساتذتنا طيلة مشوارنا الذين دعمونا طيلة مشوارنا الجامعي جزيل الشكر والثناء لهم.

حيرش بشرى

مقدمـــــــــة

انتهجت الدولة الأيوبية منذ بداية تأسيسها سياسة قائمة على عقيدة فكرية ضمن اطارها الديني السني ، بإعتبار ان ذلك سيمكنهم من مواجهة المخاطر الداخلية والخارجية على حد سواء ،وقد جاء تبنيهم ودعمهم للحركة الصوفية باعتباره يمثل احد التيارات السنية البارزة في ذلك العصر يمكن من خلاله كسب ود الناس ،وأصبح التصوف الملجأ والمخلص للمسلمين من الاوضاع المزرية والصراعات السياسية والمذهبية التي تفاقمت لذلك كان اللجوء الى التصوفّ ومكنت الاعداء من بلادهم ، باعتباره يمثل حركة دينية وفكرية تسمو فوق الخلافات المذهبية التي كانت تعيشها البلاد الاسلامية وهيأ الأيوبيون الأرضية لإزدهار التصوف من خلال بناء اماكن خاصة لإيوائهمّ المناسبة الأمر الذي أدى الى وفود العديد من شيوخ التصوف من بلاد المغرب والعراق الى مصر وأصبحوا كقادة ينقادون لتعاليمهم عامة الناس ،بإعتبارهم رموز دينية لا يخالفون الشرع والدين، لذا فقد اضطلعوا هؤلاء الشيوخ بأدوار مهمة في اجتماع المصري ،لاسيما دورهم السياسي والجهادي ولم يكن الزهد والورع عائقا في طريقهم ،فقد كان لهم دور بارز في تعزيز قدرة الايوبيون على ترسيخ امنهم الداخلي ومشاركتهم في دعم وتقوية ركائز الدولة الأيوبية بداية تأسيسها، ،كذلك كان لهم دور فعال في مواجهة الغزو الصليبي من خلال مشاركاتهم الميدانية في ساحات القتال وشحذ نفوس المقاتلين للجهاد والشهادة في سبيل الله طيلة فترة الحروب الصليبية.

وما دفعني الختيار هذا الموضوع تحت عنوان: التصوف في بلاد الشام و مصر خلال العصر الأيوبي هو ميلي الشخصي لهذا النوع من الدراسات كذلك قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

أما **عن أهمية الدراسة** هذا البحث في كونها تلقي الضوء على التصوف في بلاد الشام و مصر خلال العصر الأيوبي و تبيان الرابط المشترك بين الصوفية في بلاد الشام و مصر.

وفي هذه الدراسة سيكون توجه دراستنا حول التصوف ما بين بلاد الشام و المصر خلال العصر الأيوبي.

مما سبق نصيغ الإشكالية التالية : ما المقصود بالتصوف في بلاد الشام و مصر خلال العصر الأيوبي؟.

و يتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي تعمل على المساعدة للحل الموضوع و هي :

- ما المقصود بعلم التصوف و نشأته.
- ما المقصود بقيام الدولة الأيوبية.
- ماهي العلاقة بين صلاح الدين و الزنكيون.

ولإنجاز هذه الدراسة اعتمدت على:

1-**المنهج التاريخي :** لتتبع الفترة الزمنية التي إستغرقها مفهوم التصوف و إنتشاره في بلاد الشام و مصر خلال العصر الايوبي.

2-**و المنهج التحليلي :** وكان الصفة الغالبة في هذه الدراسة أثناء عرضنا لمختلف الأفكار.

و قد إعتمدت في هذه الدراسة على الخطة المنهجية التي جاءت كالتالي :

المقدمة يليها **الفصل الأول** تحت عنوان ماهية التصوف و فيه تطرقنا في المبحث الأول تحت عنوان نشأت التصوف و المبحث الثاني أنواع التصوف و المبحث الثالث بأهم رواد التصوف و يليه **الفصل الثاني** معنون بقيام الدولة الأيوبية و فيه المبحث الأول نشأة الدولة الأيوبية و الثاني توسعات الدولة الأيوبية و الثالث الخليفة صلاح الدين الأيوبي ودوره في ارساء الدولة والرابع دور صلاح الدين الأيوبي في انتشار الصوفية و **الفصل الثالث** تحت صلاح الدين و الزنكيون و فيه المبحث الأول و معنون بنهاية الحكم الفاطمي وأثره على العلاقات بين الطرفين و المبحث الثاني معنون بصلاح الدين والصالح إسماعيل و الفصل الثالث و معنون ب التوسع الأيوبي باتجاه الشام و الفصل الرابع و المعنون بالدور الأيوبي بعد وفاة الصالح إسماعيل والمبحث الخامس و المعنون بتعقيب حول علاقات صلاح الدين مع الزنكيين وأخيرا الخاتمة.

و في طور إنجاز هذه الدراسة واجهتنا عدة صعوبات منها :

- إتساع الموضوع و تشعبه و إرتباطه بالعديد من المجالات.
- إتساع جانب التصوف حيث لم يكن التصوف حكرا على بلاد الشام و مصريين بل لديه إمتددات قديمة و واسعة لا تمت للإسلام بصلة هذا ما جعل من الإحاطة بالتصوف و حصر نطاقه أمر صعب.

أما عن **المادة العلمية** لهذا البحث فقد تم إستخلاصها من مجموعة من المصادر و المراجع من نوابغ الفكر العربي و الأجنبي من كتب و مجلات و مواقع و دراسات نذكر منها :

1. ابن الزيات، لتشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، حقيق أحمد التوفيق ط1 , 1404هـ 1984 /م.
2. محمد عبد المنعم الخفاجي : الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة، القاهرة 1938.
3. سلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسنٌ ، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ،حققه وعلق عليه :مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2.
4. الطاير بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجرينٌ14-15الديلادينٌ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد العزيز فيلالي ،جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2008 -2009.
5. محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري القسم الأول، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط 1980-1981.

الفصـــل الأول : مدخـل للتصـــوف

تمهـــيد

وهي في جوهرها تعبير عن إشباع الجانب الروحي، والزهد في متع الحياة الفانية، والركون والدعة إلى قوة أعلى، ورغبة في التعالي عن الشهوات المادية، بغية الارتقاء في سلم الصفاء الروحي والوصول إلى السعادة.

والمسلمون ليسوا بدعاً في نزوع طوائف منهم إلى التحلي بهذه الصفة ونبذ المتع والزهد في الشهوات، والسعي نحو الرقي الروحي، غير إن لكل مجتمع خصائصه التي تميزه من منطلق عقيدته التي يؤمن بها؛ لذلك نجد التصوف في المجتمع الإسلامي في منطلقاته وقيمه يستند إلى تعاليم الدين، فهو امتداد لطريقة الزهد عند (الرسول صلى الله عليه وسلم) وعند الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم جميعا وظهور التصوف كان حالة طبيعية لمجتمع تكون ثقافته إسلامية متكاملة ،فهو قائم على النزعة الروحية المستمدة من الزهد على أساس الدين. وسوف نتعرف من خلال هذا البحث على مفهوم التصوف، وعلى مصادره ونشأته والمراحل التي مر بها.

الفصـــل الأول : مدخـل للتصـــوف

المبحث الأول : نشأت التصوف

التصوف تصورات دينية انتشرت في العالم الاسلامي في بداية الأمر كنزعات فردية تدعو إلى العبادة و الزهد فى الحياة، وذلك كرد فعل لزيادة الفساد والترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا وحركات منظمة ومعروفة باسم الصوفية. ولا شك ان ما يدعو اليه الصوفية من الزهد والورع والتوبة والرضا, انما هي أمور من الاسلام الذي يحث على التمسك بها والعمل من اجلها, فالمتصوفة يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول الى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية. وقد تنوعت وتباينت آراء الناس وتوجهاتهم نحو تلك الحركة لأن ظاهرها لا يدل على باطنها.

جميع المؤرخون يتفقون على ان التصوف نشأ وترعرع في العراق، حيث برزت أسماء كبرى قد ساهمت بتأسيسه، منها: داود بن نصير الطائي، رابعة العدوية، معروف الكرخي، السري السقطي الجنيد البغدادي، وغيرهم الكثيرون. ولكن اختلفت آراء الباحثين حول الكيفية التى بدأ بها التصوف في العراق وفى غيره من الدول ، وكذلك عن التوقيت بالتحديد ، على عدة آراء[1]:

1- رأى يقول أن التصوف الاسلامي، هو امتداد طبيعي لعقيدة (وحدة الوجود العرفانية) التي بدأت تنتشر في الشرق الاوسط، بالذات في العراق والشام ومصر، منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وهي عقيدة تحاول ان تمزج بين (روحانية الشرق الآسيوي ومنطق الاغريق). فبعد سقوط آخر دولة عراقية في القرن السادس قبل الميلاد على يد الفرس، واحتلال الشام ومصر من قبل الاغريق ثم الرومان، بدأ يتغلغل في هذه البلدان تياران دينيان جديدان: التيار الديني الآسيوي (الهندي الصيني) المتضمن (عقيدة وحدة الوجود) عن طريق ايران، ثم التيار الفكري اليوناني (علم المنطق) عن طريق الاغريق أنفسهم ثم الرومان. لقد امتزج هذان التياران الجديدان مع ديانة عبادة الكواكب العراقية وديانة البعل الشامية وديانة خلود الآخرة المصرية. نتج من هذا مزيج يجمع بين (عقيدة وحدة الوجود الآسيوية) و(المنطق الاغريقي) و(عقيدة المهدي . المسيح . المخلص)

[1] الإسلام الصوفي العراقي/ عن مجلة ميزوبوتاميا . جنيف / http://www.mesopotamia4374.com إطلع عليه بتاريخ 2022/03/21 على ساعة 17.00

العراقية، وعقيدة (الخلود الآخروي) المصرية. تجدر الإشارة، إلى أن (مفهوم وحدة الوجود) في أصله هو مذهب آسيوي واضح الحضور في الأديان الصينية والهندية، مثل البوذية والتاوية والهندوسية. بينما أديان البحر المتوسط (بضفتيه الأوربية والشرقية) هي بطبعها أديان ثنائية تميز بصورة واضحة بين(الخالق والمخلوق). فالديانة العراقية القديمة وكذلك المصرية والشامية، بالاضافة الى الأديان السماوية، جميعها بدرجات مختلفة تعتبر القوى الالهية مقيمة في السماء العليا ومنفصلة جوهرياً عن مخلوقاتها على الارض[1].

2-ورأى يقول أنه كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً، ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية، وعبد الواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة في البراري والصحاري، وترك الزواج. يقول مالك بن دينار: "لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب". وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص من كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروِّضون أنفسهم على هجر النوم وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

. وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفةً لقول الله تعالى: (يَدْعُونَنا رَغَباً ورَهَباً) سورة الأنبياء :الآية 90.[2]

يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: "في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام ، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور

[1] ابن الزيات، لتشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، حقيق أحمد التوفيق، ط , 1404هـ 1984 /م،ص55

2 سورة الأنبياء :الآية 90

الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي ت200هـ، تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية . وهي أول ما بني في الإسلام . أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع . صار لهم حال من السماع والصوت . إشارة إلى الغناء. وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين". ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار[1].

-3إنَّ الثابتَ مِن الكتب التي كتبها كثيرٌ مِن المعاصرين عن الصوفية، ومِن القدماء: أنَّ أولَّ مَن أسَّس التصوف هم: الشيعة، وأنَّ هناك – بالذات – رجليْن كانا لهما دورٌ في ذلك:

الأول: يسمَّى عبدك ، والثاني: يسمَّى أبو هاشم الكوفي الصوفي المتوفى سنة (150هـ)، أو " أبوهاشم الشيعي" ، فهما اللذان أسَّسا دين التصوف.

فالصوفية أجمع هي وليدة التشيع .. بدأت حركة زهدية علماً "أن الزهد في المشرق [والآن أضف المغرب] إنما تطوّر إلى تصوّف على أيدي الزهاد الفرس الذين يمثلون عصب التشيع ودمه الفوّار"

-4ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب، حيث إن التيارات العرفانية كانت سائدة بين العراقيين قبل الاسلام، مثل(المندائية) و(المانوية) و(التنسك المسيحي). وقد بلغ التصوف ذروته في نهاية القرن الثالث الهجري. وواصلت الصوفية انتشارها في العراق ثم إيران ومصر والمغرب, وظهرت من خلالها الطرق الصوفية.[2]

المطلب الثاني : تعريف التصوف

1-المفهوم اللغوي :

[1] محمد عبد المنعم الخفاجي : الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة، القاهرة 1938، ص 23-24

[2] سلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسنّ ، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ،حققه وعلق عليو :مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثانية20 ،ص67

عددت الآراء و اختلف وجهات نظر الباحثين ومؤرخي التصوف في الأصل الاشتقاقي اللغوي لمفهوم التصوف ولقد ، ورد مفهوم التصوف في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان منها إطلاق كلمة(صوف) على الصوف المعروف من شعر الحيوانات قال الله تعالي، (ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أُثاثا و متاعا إلى حين) سورة النحل: الآية 80. [1]

والطوسي أيضا يؤكد ذلك " كذلك الصوفية عندي نسبوا لظاهر اللباس ، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متمرسون ؛ لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين "المتسكعين فليس الصوف خشن، وكانوا يؤثرون لبسه دليلا على التقشف والخشونة .

وقيل إن الصوفية ينتسبون إلى الصفاء ، أنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم ، وهذا يرجع إلى حال الصوفية ، وليس إلى الاشتقاق ،اللغوي ويرى القشيرى أن هذا غير صحيح ؛ لأن نسبة الصفاء هي صفائي [2] وهذاً رأي الكالباذي أيضا فالصوفية ينتسبون إلى الصفاء و أنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم ، صفاء القلب كما تنسب إلى أهل الصفة الذين نزلوا في مسجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فهم الرعيل الأول من رجال التصوف ، فقد كانت حياتهم التعبيرية.

الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف ، وكانوا من شدة عفافهم وغيرتهم وفقرهم يجعلون الصوف لباسهم . وأنها مشتقة من الصف الأول ، لأن الصوفية يقفون فيه أمام الله جل وعلا الارتفاع همومهم إليه وتقربهم إليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه[3] فهم في الصف الأول بقلوبهم من حيت حضورهم مع هللا تعالى وتسابقهم في سائر الطاعات.

وتطلق أيضا على نبتة زغباء قصيرة فهذه النبتة قصيرة ال تحتاج إلى رعاية وعناية، كذلك الصوفية يعيشون حالة التقشف والزهد في الأكل والشرب.

---

1 سورة النحل: الآية 80

2 القشيري: الرسالة القشيرية ، دار الكتاب العربي بيروت ، د.ت ،د.ط ، ص12

3 المصدر السابق ،ص ص28 –29

كما نسبت سوفيا أيضا اليونانية ومعناها الحكمة ، والقائلون بذلك حجتهم إن القوم كانوا طالبين للحكمة ، حريصين عليها ، فأطلقت عليهم الكلمة وعربت أو حرفت صوفية وصوفي ويرى القشيري أن لفظ الصوفية لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولا في اللغة العربية " وليس يشهد لهذا الاسم (تصوف) من حيت اللغة قياس والاشتقاق ، والأظهر فيه إنه كاللقب ، فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف ... فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ، ومن قال إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ، ومن قال من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة ، وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث الحاضرة من الله تعالى ، فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة ال تقتضى هذه النسبة إلى الصف ، تم إن هذه الطائفة أشهر من أن تحتاج في تعينهم إلى قياس لفظ واستحقاق [1]اشتقاق "، فالقشيري ينفى ورودها في القرآن والسنة واللغة العربية ، وإنها لقب وليس اسم.

من هذه التعريفات وغيرها يتضح لنا الاختلاف في التعريف اللغوي لمفهومً التصوف، قلم يتم الاتفاق على تعريف واحد يكون جامعا لهذا المفهوم.

2-المفهوم الاصطلاحي

مفهوم التصوف من المفاهيم التي لم يتفق على تعريفها لغة واصطلاحا ، فمن الصعب أن نحصر تعريفاً جامعاً مانعاً للتصوف ؛ لأن التصوف مر بالعديد من الأدوار والمراحل والتغيرات ، فلابد أن يختلف مفهوم التصوف من عصر لآخر ،بالإضافة أن التصوف تجربة روحية فردية ، وهذه التجربة تختلف من شخص إلى آخر ، فيختلف معنى التصوف من صوفي إلى آخر باختلاف تجاربه " لقد اجتهد الصوفيون في تقديم التعريف الجامع المانع ، وتفرقوا أو تنوعوا أكثر ما التفوا أو اتفقوا ، وبثوها مبعثرة ومعقدة ، كما قدموا تعريفات بسيطة أو مبسطة مكثفة"[2]

---

1 السهروردي :عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي : بيروت لبنان ،بدون طبعة، 1403 هـ ، ص54

2 علي زيور : النظريات في فلسفة الوجود والعقل والخير ، أسئلة الأمسيات و المعرفيات والقيمات ، دار النهضة العربية : بيروت لبنان ، 1426 .هـ ، 2006 م ،ص 115

وسوف أعرض لبعض من هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر:

يعرفه الجرجاني بأنه " : هو علم القلوب الذي يبحث في أحوال النفس الباطنة ،ويسعى إلى تصفية القلوب والطهر والتجرد ، ويؤدي إلى الاتصال بالعالم العلوي[1]"

ويعرفه حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي بأنه" : هو طرح النفس في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، فإن تصفية القلب عن مرافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانية الدواعي النقائية ومنازلة الصفات الروحانية ،والتعلق بالعلوم الحقيقية ، وإتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الشريعة".[2]

فهو تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق.

وعرفه ابن سينا": هو ذلك الإنسان المنصرف بفكرة إلى قدس الجبروت ، مستديماً لشروق نور الحق في سره " .[3]

ويعرفه ابن خلدون بأنه ":العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة فهو عباده وسلوك والإعراض عن الدنيا وملذاتها ،والابتعاد عن الفواحش وكل ما يخالف أوامر الله ،وتوثيق الصلة به.[4]

وعند الجنيد ": لحوق السر بالحق ، ولا ينال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب لقوة الروح والقيام مع الحق. "

وقيل أيضاً في تعريف التصوف "التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف ...ومن شرط المنعوت في التصوف أن يكون حكيماً ذا حكمة ، وإن لم يكن فلاحظ له في هذا اللقب[5]. "

---

[1] الجرجاني : التعريفات ، طبعة حلبي ، القاهرة مصر ، بدون طبعة، 1938 م ، ص4

[2] الغزالي : روضة الطالبين وعمدة السالكين ، دار السعادة مصر ، بدون طبعة ، 1924 ، ص143

[3] ابن سينا : الإشارات والتنبيهات ، تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1948 م ،ص45

[4] ابن خلدون : المقدمة ، دار العلم ، ط 5, 1419 ، 1984 م ، ص 467

[5] الكلابادي التعرف لمذهب أهل التصوف ،مكتبة الكليات الزهرية،القاهرة مصر ، ط3، 1400 هـ ، ص9

ويعرف الطوسي الصوفية في اللمع بأنهم " : هم العلماء بالله وأحكام الله العاملون بما علمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ،الفانون بما وجدوا ، لأن كل واجد قد فنى بما وجد " .[1]

وعرف التصوف_ أيضا _ بأنه " كل من قصد إلى سلوك الطريق وجعل معتمداً أمره الأعمال القلبية والبدنية فعلاً وتركاً ، فهو من المهتدين إليه لا محالة ، إن كل ممن هم أهل له ، ومن وفق لهذه الأمور فهو من المؤهلين له ، فإن الأمر المتفق عليه

عند العارفين أنه لا وصول إلى الله إلا بالله ، ولا حجاب للعبد عن الله نفسه ، والنفس لا تجاهد بالنفس ، وإنما تجاهد بالله ، فإذا جوهدت بالله لم يتصور في طريق السلوك قاطع ولا مانع ، لوجود حفظ الله وتأييده للمريد السالك بما شاء ".[2]

التصوف مذهب إسلامي ، وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله ومعرفته والعلم به ، عن طريق الاجتهاد في العبادة واجتناب نواهيه ، وتربية النفس وتطهير القلب من كل الشوائب الدنيوية والتحلي بالأخلاق الحسنة.

فالتصوف هو" مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق ، بل تعلم بالمنازل والمواجيد ، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وكل تلك المقامات " ، وكل صوفي يعبر عما وجد، لذلك التصوف يختلف من صوفي إلى آخر ، فلا ينطبق عليه حد واحد " إن علم التصوف لا يمكن حده ؛ لأنه إشارات وبوادر وعطايا وهبات يعرفها أهلها "[3]

التصوف تهذيب النفس وتطهير القلب من الرذائل والخطايا، ومجاهدة النفس للحد من الشهوات ،فهو يرتقي بالإنسان إلى تهذيب سلوكه ،عن طريق السمو عن الشهوات ، للفوز برضا الله والفوز بسعادة الدارين.

---

[1] الطوسي، للمع، تح :عبد الحليم لزمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر،19 ص4

[2] الرسائل الصغري الشيخ ابن عابد الرندي ، نشر الأب بولس نويا اليسوعي ،المطبعة الكاثوليكية ، بيروت لبنان ،بدون طبعة ، 1357هـ، الرسالة السادسة عشر،ص11

[3] السهروردي :عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي : بيروت لبنان، بدون طبعة ، 1403 هـ ، ص5

يترجح لدى الباحثة من خلال عرض التعريفات السابقة تعريف ابن خلدون للتصوف ،لأنه يدل على معنى التصوف وجامع لمعظم التعريفات السابقة.

مما سبق تبين لنا أن تعريفات التصوف هي تعريفات شخصية فردية مختلفة، تبين لنا حال الصوفي في لحظة اتصاله مع الله ، وتختلف من صوفي لآخر في لحظة فردية روحية

المبحث الثاني : أنواع التصوف

لصوفية أنواع تذكر منها :

1. التيجانية : وتنسب لأحمد بن محمد بن مختار التيجاني، ولد سنة 1150هـ بقرية بني تيجين من قرى البربر ، ومن مزاعمه أنه خاتم الأولياء فلا ولي بعده، وأنه الغوث الأكبر، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى وقت ظهوره لا يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بواسطته، وأنه وأتباعه أول من يدخلون الجنة، وأن الله أعطاه ذكرا يسمى " صلاة الفاتح " وأن هذا الذكر يفضل كل ذكر على وجه الأرض ستين ألف مرة، وأن أتباعه يدخلون الجنة بلا عذاب ولا حساب مهما عملوا من المعاصي .[1]

2. الشاذلية: وتنسب إلى أبي الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة ببلاد المغرب، قال الإمام الذهبي في ترجمته في العبر : " الشاذلي : أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف توهم، ويتكلف له في الاعتذار عنها، وعنه أخذ أبو العباس المرسي، توفي الشاذلي بصحراء عيذاب في أوائل ذي القعدة 656هـ " وتنتشر "الشاذلية" في كل من مصر وبلاد الشام، ويشتهرون بالذكر المفرد "الله، الله، الله" أو المضمر " هو هو " ولهم ورد يسمى الحزب الشاذلي.[2]

3. السنوسية: حركة سلفية صوفية إصلاحية، تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فاهتمت بجانب تصحيح العقائد، والاهتمام بتزكية النفس وإصلاح القلوب، أسسها الشيخ محمد بن

---

[1] أحمد ابن عجيبة ومحمد الحراق، عبد المجيد الغصن، اشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنينّ، 19/18 م، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1415هـ 1994م،ص90

[2] محمد الطيب : إسلام المتصوفة ، رابطة العقليين العرب ، دار الطلائع : بيروت :لبنان ، ط1 ، 2007م ، ص34 .35

علي السنوسي 1202هـ وانتشر خيرها وعم نورها أرجاء عديدة من العالم الإسلامي، منها ليبيا ومصر والسودان والصومال والجزائر حتى وصلت إلى أرخبيل الملايه.

وهذه الحركة أو الجماعة مثال للتصوف الإسلامي الصحيح الخالي من شوائب البدع والخرافات، من أشهر رجالاتها الشهيد البطل المجاهد أسد القيروان عمر المختار .

4. الختمية : طريقة صوفية أسسها محمد عثمان المرغني المحجوب ويلقب بالختم، أي خاتم الأولياء ولد سنة 1208هـ /1838م، وأول ما ظهرت الختمية بمكة والطائف، وانتشرت منهما إلى مصر والسودان وارتيريا، وتلتقي عقائدها مع كثير من عقائد فرق المتصوفة الآخرين كالغلو في النبي صلى الله عليه وسلم، والغلو في شيوخهم.[1]

المبحث الثالث: أهم رواد التصوف

اشتهر طائفة من رجال التصوف بالزهد، ومراعاة أحوال القلوب، حتى أصبحوا مضرب المثل في ذلك، في حين لم يعرف البعض الآخر من التصوف سوى لبس الخرق والتظاهر بالمسكنة، فضلا عن خروج الكثير منهم عن السنة بكثرة ما أحدث من البدع في العقائد والعبادات، فليست الصوفية سواء وليس رجالها سواء، والبصير العاقل من لم يضع الجميع في سلة واحدة لاتحاد الاسم مع أن المعنى مختلف، وسوف نعرض لتراجم بعض أعلام التصوف وأغلبهم من أهل الاستقامة في الدين لئلا تنفر النفوس من التصوف بمعناه الحسن، فما أحوج القلوب اليوم في زمن الجفاف المادي إلى نسمات الروح وهبات الإيمان لتغتذي بها، وفي ذكر الصالحين نعم العون على ذلك، فمن أعلام التصوف:

1- أبو محمد رويم بن أحمدت 303هـ . من أقواله : " إذا رزقك الله المقال والفعال، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة، وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة "[2]

---

[1] عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منب البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخيل القاسمي للنشر 2007 ،ص 100

[2] محمد العبدة وطارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، بنداوي، لنشر المعرفة والثقافة،ص120

2- أبو العباس أحمد بن محمد الآدمي ت 309م كان من كبار مشائخ الصوفية وعلمائهم، وكان من أقران الجنيد – رحمه الله – من أقواله: "من ألزم نفسه متابعة آداب الشريعة، نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه ".

3-أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم ت 161 هـ كان من أبناء الملوك، فخرج عن حاله تلك وتصوف، حتى صار مقدما في الصوفية، من أقواله : " إني لأسمع النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ".[1]

4-أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني توفي قبل 300 هـ، كان من أولاد الملوك، وكان يقول: " من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة "

5- أبو القاسم الجنيد بن محمد ت 297 هـ: من أقواله : "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام ". وقال : " من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ".

6- ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري : 245هـ من أقواله : "مدار الكلام على أربع : حب الجليل، وبغض القليل، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل " وقال : " من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه ".[2]

7- أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد ت 260 هـ كان أحد أئمة الصوفية من أقواله : " المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت " . وقال: " من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال "

---

[1] الكلاباذي : مرجع سبق ذكره ، ص28

[2] محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري، القسم الأول، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط 1980-1981،ص69

فهؤلاء – السالف ذكرهم – بعض أهل التصوف ممن كانت لهم أحوال صالحة، وأثنى عليهم علماء الإسلام، وسنثني بذكر بعض أعلام التصوف ممن عرفوا أو ذكروا ببعض العقائد الفاسدة:

8- أبي يزيد البسطامي، ت: 261 هـ من أقواله الصالحة: " لو نظرتم إلى رجل أعطي الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة " وقيل : "لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظر القرآن كله ".

قال الإمام الذهبي في السير : " وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو فيطوى ولا يحتج بها، إذ ظاهرها إلحاد مثل : سبحاني، وما في الجبة إلا الله، ما النار ؟! لأستندن إليها غدا وأقول اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها، ما الجنة ؟!! لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا . ما المحدِّثون ؟! إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب، وقال في اليهود : ما هؤلاء ؟! هبهم لي أي شيء هؤلاء حتى تعذبهم ".[1]

9- الحسين بن منصور الحلاج : قال الإمام الذهبي في السير : " كان يصحح حاله – أي الحلاج – أبو العباس بن عطاء ومحمد بن خفيف وإبراهيم أبو القاسم النصر آباذي، وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء، .. ومنهم من نسبه إلى الحلول ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشعبذة .. وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال وانتحلوه وروجوا به على الجهال نسأل الله العصمة في الدين " وأورد الإمام الذهبي وغيره في ترجمته حكايات عنه فيها شعبذة ومخاريق، واشتهر بالقول بوحدة الوجود وهي من أشنع البدع وأقبحها على الإطلاق، ومن شعره الذي أنكره العلماء، قوله :[2]

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينة خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

---

[1] عرفان عبد الحميد : نشأة الفلسفة الصوفية ، نقال عن نيكلسون مؤلف دائرة معارف القرن العشرين ، ط8 ، ص 108

[2] أبو بكر جابر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصرة، م(ب .ت)،ص55

المبحث الرابع: مصادر التصوف

لاشك أن التصوف في مراحل تطوره المختلفة قد تأثر بمصادر إسلامية داخلية ومصادر خارجية وسوف نعرض لهذه المصادر وأثرها على التصوف الإسلامي.

أولا: المصادر الداخلية

التصوف الإسلامي منبعه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فهما عبارة عن مدرستين عمليتين لتطبيق العقيدة والشريعة ، والسلوك الإسلامي الصحيح للصحابة والتابعين ، فهو تطبيق عملي لأحكام الشريعة والموعظة الحسنة.

فلا شك أن المصادر الداخلية هي السبب في النشأة ؛ لأنها أكثر تأثيراً من المصادر الخارجية ؛ لأنه لابد أن يكون مهيأ ومستعداً للاستقبال بما هو موجود لديه من موروث قال تعالى " إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي" سورة الحديد: الآية 20 [1] هذه أية قرآنية وقد علمها المسلم قبل أن يعلم الأفلاطونية المحدثة أو النصرانية أو اليهودية أو الهندية أو الفارسية ، وذكر الغزالي أنه أطلع علي كتب الصوفية ولم تجعل منه متصوفاً ،لأن التصوف ذوق ومشاهدة وتصفية القلب " فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي – رحمه الله – وكتب الحارث المحاسبي ، المتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلى ، وأبي يزيد البسطامى –رحمهم الله – وغير ذلك من كلام يمكن أن يحصل عن طريقهم بالتعليم والسماع"

أ –القران الكريم:

يتضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي تشير إلى الإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الآخرة " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ[2] "، وقال تعالى "أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" [3] سورة المنافقون : الآية ص9 فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية دعا إلى الزهد

[1] محمد عبدالفتاح سيد أحمد : التصوف بين الغزالي وابن تيمية ، دار الوفاة: المنصورة 2000 ،ص15 .

[2] سورة الحديد: الآية 20

[3] سورة المنافقون : الآية ص9

ويحذر من أن الحياة لعب ولهو ومتاع الغرور وإنها فانية وزائلة والبقاء للآخرة ، كما يحتوي على آيات تشير إلى المقامات والأحوال عند الصوفية فهذه الآية تشير إلى التقوى " قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخرةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً" [1] سورة الحجرات: الآية13 ، وأخرى تشير إلى الزهد " قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخرةُ خَيْرٌ لِمَنِ ا تَّقَى " وأيضاً إلى التوكل "وَعَلَى اللهِّ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [2] سورة التوبة: الآية51 وإلى الرضا " رَّضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ 3 سورة التوبة: الآية 100وفي الأحوال هناك آيات تشير إلى الحزن " وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِّ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَن"4 سورة فاطر: الآية 34 المعنى: الحزن أي الدنيا لأنها دار الحزن ، والخوف " يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ " [5] سورة السجدة الآية 16والذكر " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَّ ذِكْرًا كَثِيرًا" [6] سورة الأحزاب الآية 41والدعاء"

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ "[7] سورة غافر: الآية 60 وقوله تعالي " وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ منَ الْغَافِلِينَ" [8] سورة الأعراف الآية205 كما دعاهم إلى التحمل والصبر " وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى" [9] سورة طه : الآية 130 فالصوفية يستمدون إلهامهم من القرآن الكريم ، ففيه إشارات واضحة إلى الزهد والانصراف عن الملذات الدنيوية ، فبعض من صفات الصوفية موجودة في القرآن الكريم ، وأشار الله إليها بقوله" التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِّ

---

[1] سورة الحجرات: الآية13

[2] سورة التوبة: الآية51

[3] سورة التوبة: الآية 100

[4] سورة فاطر: الآية34

5 سورة السجدة الآية 16

6 سورة الأحزاب الآية41

7 سورة غافر: الآية60

8 سورة الأعراف الآية205

9 سورة طه : الآية130

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ[1]" سورة التوبة :الآية 112وقوله تعالى" مُسْلِمَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ [2]" سورة التحريم : الآية5 فالقرآن الكريم يدعو إلى الزهد ويؤكد عليه في الكثير من آياته ، حتى يتمكن الإنسان من أن يطهر قلبه ،عن طريق التعبد والتنسك ويكون هناك اتصال بين الله والعبد ، وهذا ما فسح المجال أمام الصوفية.

ب –السنة النبوية المطهرة:

هي المصدر الثاني للدين الإسلامي ، وقد استمد من القرآن الكريم ، فهو التطبيق العملي له " وتفسير لما جاء فيه " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ3" سورة النحل :الآية 44وقوله تعالى " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ4" سورة الأحزاب :الآية21 لنا في رسول الله أسوة حسنة وقد كان مثالاً للزهد ، فكان زاهداً في الحياة وزخرفها ، زاهداً في أكله وشربه ولباسه ، حتى قبل نزول الوحي عليه وقبل البعثة ، فكان يتعبد في غار حراء ، زاهداً ومتأملا في الحياة ، إن تعبد الرسول في غار حراء مع زهده في الأكل والشرب جعلت الصوفية يستمدون منها مشروعية اعتزالهم في زهدهم في الحياة ، فمعرفة الله هي معرفة إشراقية إلهامية لدينه استنادا لما جاء في القرآن الكريم " وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. " 5 سورة الكهف :الآية 64 فالرسول(صلى الله عليه وسلم) كان زاهداً عابداً وكانت نساء الرسول وأهل بيته وأمهات المسلمين زاهدات أيضاً قانعات بقلة المال وضعف الحال " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَ رَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَّ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمً "6 سورة الأحزاب : الآية28 –29

---

1 سورة التوبة :الآية 112

[2] سورة التحريم : الآية5

[3] سورة النحل :الآية 44

[4] سورة الأحزاب: الآية21

[5] سورة الكهف: الآية64

[6] سورة الأحزاب : الآية28 –29

فالصوفية مستمدة(أيضا) من الأحاديث النبوية الشريفة ، فعن أبي هريرة ، قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يقول الله عز وجل " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ " هم خير منهم ، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيه هرولة "[1]وقوله عليه السلام " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[2] " كان رسول الله قدوة حسنة لنا ، فقد كان زاهداً ولكنه لم يكن مبالغاً في تزهده ، فلم يكن منقطعاً على العمل؛ لأن العمل عبادة ، ولا على الجهاد في سبيل الله ، ولا على الزواج ولا على النوم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال " : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي(صلى الله عليه وسلم) ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي(صلى الله عليه وسلم) ، قد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر؟ قال أحدهم أما أنا فإني أصلى الليل أبداً ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إليهم فقال " أنتم الذين قلتم كذا وكذا "أما والله لأخشاكم لله واتقاكم له[3] ،لكنى أصوم وأفطر ،وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"فمن خرج عن سنة الرسول خرج عن ملته ، لأنه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وقد سار الصحابة على منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتعريف المسلمين بهذا المنهج ، وقد أوصى الرسول بالسير على نهجه ونهج الصحابة فقال عليه السلام "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة [4]" وقال عليه السلام " خيركم قربي ، ثم الدين يلونهم ، ثم الدين يلونهم[5] " ، وأوصى بالصحابة

---

[3] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء ، رقم الحديث 4776 ، المرجع السابق

[4]. سنن ابن ماجه ،كتاب المقدمة ،باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، رقم الحديث42 شرح سنن ابن ماجه القزويني ، دار الجيل بيروت،ص145

[5] صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ،رقم الحديث 2508 ، فتح الباري شرح صحيح البخاري،مرجع سابق ذكره

رضوان الله عنهم " لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي ، فالذي نفسي بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصفيه[1] "

أوصى عليه السلام بأصحابه والاقتداء بهم ، فمن أحبهم أحب الرسول ، ومن آذاهم فقد آذى الرسول ومن آذي الرسول فقد آذى الله.

وكانت حياة الصحابة والخلفاء الراشدين مصدر اً للزهد ومن ثم التصوف المعتدل، ويجمل الطوسي الحديث عنهم في كتابه اللمع فيقول " فمن ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك فجلس على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة فإمامه أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله ولصلة الرحم وأداء الحقوق فإمامه فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن جمع لله ومنع لله وأعطى لله وأنفق لله فإمامه فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومن لا يحوم حول الدنيا ، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] " ، كان الصحابة في زهدهم وإعراضهم عن زخرف الحياة وملذاتها نموذجاً للمسلمين وقد اقتدوا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فكانوا يقرءون القرآن بتمعن وتأمل في الليل ، وفي النهار يمارسون أشغالهم ، فحياة الصحابة يغلب عليها الزهد المعتدل القائم على الكتاب والسنة ، وكان الصحابة مثالاً للزهد والتصوف المعتدل وكذلك التابعون أساس التصوف هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، حيت استمد منه المسلمون التصوف المعتدل.

ثانيا: المصادر الخارجية:

التصوف الإسلامي ظاهرة إسلامية نبتت في جو الإسلام وبيئته ، وتأثرت أساسا بفعل النبي وأصحابه ، واعتمدت على ما جاء في الكتاب والسنة من حكمة وموعظة ، لكنها لم تسلم مما سرى إلى العالم العربي من عوامل خارجية، وكان لابد لها أن تتأثر بها وتأخذ عنها ، وإن كان

---

[1] صحيح البخاري ،كتاب فضائل الصحابة ،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذ خليلا ، رقم الحديث 3470 ، المرجع السابق

[2] الطوسي : اللمع ، مصدر سابق ذكره ، ص179

الأثر لا يبدو بوضوح في المراحل الأولى ، فإننا نلمسه لدى الدارسين والمتخصصين في المراحل التالية[1] لا ننكر تأثر التصوف بعناصر غير إسلامية في مراحل تطوره ، ولكن ليس معنى ذلك إن هذه العناصر هي الأساس في التصوف الإسلامي كما برغم الكثير من المستشرقين[2] ومن هذه المصادر :

أ –**الديانة المسيحية** : انتشرت المسحية في ربوع الجزيرة العربية والبلاد التي امتد إليها الفتح الإسلامي ، وإلى جانب أن معظم من قام بحركة الترجمة في العصور الإسلامية كانوا من النصارى ، كما ذكر بعض مؤرخو الفرق إن بعض متصوفة الإسلام كان في الأصل مسيحياً وإن يرتد أصله إلى المسيحية[3] يؤكد بعض المستشرقين على أثر المسيحية في التصوف الإسلامي من خلال التواصل بين العرب والنصارى قبل الإسلام وفي الإسلام ، كما يؤكدون أيضا على أن هناك تشابهاً بين الرهبان المسيحيين في الأقوال واللباس وبين المتصوفة في (التعاليم كالخلوة والعزلة والرياضة وكثرة الذكر والصلوات وهذا ما أكده نيكلسون" [4]من الجلي أن ميول الزهد والتأمل التي أشرت إليها كانت على وفاق مع الفكرة المسيحية ، ومنها استمدت أسباب قوتها فكثير من نصوص الإنجيل ومن الأفعال المنسوبة إلى المسيح مقتبس في أقدم تراجم الصوفية والرهبانية المسيحيون كثيراً ما كانوا يظهرون في مقام المعلمين ، يولون النصح والتسديد لزهاد المسلمين المتنقلين ، وقد رأينا أن ثوب الصوف الذي منه جاء الصوفي مسيحي الأصل ، ونذروا الصوم عن الكلام ، والذكر ، ورياضيات الزهد الأخرى لعلها ترد إلى هذا الأصل نفسه[5] "

ويمكن الرد على دعاوى المستشرقين أن هناك فرقاً واضحاً وجلياً بين التصوف والرهبنة ،فالتصوف الإسلامي لا يتجه إلى تعذيب البدن والانقطاع عن العالم كالرهبان المسيحيين ، بل يكون بالصوم

---

[1] إبراهيم مكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ، ج 2 ، دار المعارف: القاهرة ، 1983 م،ص134

[2] المستشرقين ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرق، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هدا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن الإسلام بصورة خاصة، ص95.

[3] عادل محمود بدر : دراسات في الفلسفة الصوفية عند الإسلاميين بمنظور جديد ، ج1 ، المنوفية: مصر ، 1992 ،ص 36

[4] نيكلسون مستشرق انجليزي عالم بالتصوف الإسلامي (1868– 1945م) والفارسية ودرسهما ،له من الكتب بالإنجليزية: تاريخ الآداب العربية و الصوفية في الإسلام ودراسات في التصوف الإسلامي ترجمه إلى العربية أبو العلا العفيفي،ص80

[5] نيكلسون : الصوفية في الإسلام ، ترجمة نور الدين ، مصر ، د.ط، 1951 م، ص 12 –13

والصلاة والصبر والمجاهدة ،وقد ذكر القرآن الكريم الرهبانية المسيحية وأنها مبتدعة من بعد عيسى عليه السلام" ورهبانية ابتدعوها" [1]ابتدعوها الرهبان من عند أنفسهم عبادة ، والتزموا بها من أجل إرضاء الله وما رعوها حق رعايتها ، ولنا في رسول الله والصحابة خير قدوة في التصوف الإسلامي الصحيح.

لا ننكر أن هناك تشابه اً بين التصوف والمسيحية ، ولكن هذا ليس دليلاً على أن التصوف مبادئه مسيحية ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى الرهبان والقسيسين قال تعالى "أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون [2] " فالمسيحين أقرب وألين في التعامل مع المسلمين.

ب –**الديانة الفارسية** : انتشر الإسلام في بلاد فارس ، وأعتنق أهلها الإسلام ، وتؤكد هذه الديانة أن التحرر من القيود المادية للوصول إلى الحياة الروحية لا يكون إلا بالتحرر من قيود الجسد للوصول إلى الطهارة ، ويرى بعض المستشرقين أن أهل فارس لما اعتنقوا الإسلام نقلوا هذه التعاليم إلى الإسلام ، وأثر ذلك على التصوف الإسلامي.

ج –**الديانة البوذية الهندية**[3] :يرى بعض إن تأثير الديانة الهندية على التصوف الإسلامي في التأمل والحلول الذي قال به حكماء الهنود من البراهمة فالكهنة يصلون بالتأمل إلى الكمال الروحي ومنه إلى الحلول ، وأيضاً إلى التناسخ والفناء حيث تخرج الروح من جسد لآخر، والفناء المطلق هو عودة الروح إلى أصلها وتحل في الله ، هناك اختلاف واضح وصريح بين التصوف الإسلامي وبين الفكر البوذي الهندي فالمتمعن في تجارب الصوفية تبين له إن هناك اختلافاً بينهما وبين نظريات التناسخ والحلول عند الهنود.

إن تأثير البوذية ليس قويا على التصوف الإسلامي " الفحص الدقيق يظهر أن التأثير البوذي لا يمكن أن يكون قوياً جداً ، إذ ثمة خلافات أساسية بين النظريات الصوفية والبوذية ، ولكن التشابه

---

[1] سورة المائدة: الآية 82

[2] البوذية: هي ديانة نشأت في القرن السادس قبل الميلاد على يد رجل هندي يسمونه بوذا وينسجون حوله الأساطير ويدعون أنه ابن الإله ، ولما مات دفن وصعد إلى السماء ،وأنه سيعود إلى الأرض ليعيد السلام والبركة فيها ،وتقوم العقيدة البوذية على تناسخ الأرواح.

[3] دي لاسي أوليين: الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة إسماعيل البيطار ، بيروت لبنان،د.ط ، 1972 ، ص75.

الظاهري موجود بين البوذية وفناء النفس في الروح الإلهي عند الصوفية، ولكن العقيدة البوذية تمثل النفس على أنها تفقد ذاتها في الطمأنينة اللاطائفية التي هي السكينة المطلقة ، في حين أن المذهب الصوفي رغم قوله بفقدان الفردية يعتبر أن الحياة اللامتناهية موجودة للتأمل الزهدي للجمال الإلهي أما الشبه الهندي للفناء فليس موجوداً في البوذية بل في وحدة الوجود "[1]

د –**الديانة اليهودية** : تأثر التصوف الإسلامي بالديانة اليهودية ، فالمستشرق جولد تسيهر يرى أن الصوفية تأثرت باليهودية مستدلا بدخول بعض اليهود الإسلام ووضعهم لكثير من الأحاديث (الإسرائيليات)وإن نظرية الاتحاد والحلول لدى الفلسفة الإسلامية ، وذكر الشهر ستاني : وجدوا التوراة مملوءة بالمشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهراً ، ونزول في طور سيناء والاستواء على العرش ، وينقض بعضهم هذه الأقوال بأن الاستواء والتكلم جهراً والتجسيم ليس من الصوفية، فهذا دخيل عليها وهناك فرق بين الفلسفة والتصوف.[2]

هـ –**الفلسفة اليونانية** : تأثر التصوف الإسلامي بالمصدر اليوناني ، وحركة الترجمة التي حدثت في العصر العباسي ، والبعض يرجع الصوفية إلى أصول يونانية لأنها مشتقة من كلمة صوفيا اليونانية ، والتي تعني الحكمة ، أكد نيكلسون على معرفة المسلمين بالفلسفة اليونانية والأفلاطونية المحدثة " لكن المسلمين لم يتشبعوا بالهلينية [3]عن طريق الأدب فقط ، ففي العراق والشام ومصر وجدوا أنفسهم على تربتها الأصلية التي أنتجت على وجه التأكيد حصاداً وفيراً من الأفكار الأفلاطونية الجديدة والغنوصية[4] والمسيحية والصوفية ووحدة الوجود على حد سواء ، وقد عاش في بلاد ما بين النهرين قلب الإمبراطورية العباسية قوم غرباء –كانوا في الحقيقة وبين وثنيين سوريين ، واستمرت الطبقة المثقفة بالأخذ بفلسفة دينية وهي الأفلاطونية الجديدة [5] " فنظرية

---

[1] لمي فايق احمد : التصوف في دراسات المستشرقيين ، مجلة التربية الأساسية ، المجلد العشرون، العدد الثاني والثمانون ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية بغداد العراق ، ص12

[2] الهلينية: تعبر عن الثقافة والحضارة اليونانية القديمة البحتة ،ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي ، فعندما غزى الاسكندر الأكبر بلاد الشرق وحمل معه هده الثقافة والحضارة الهلينية امتزجت هده الحضارة بحضارات الشرق الروحية.

[3] الغنوصية: نزعة فكرية تمزج الفلسفة بالدين ، قائمة على المعرفة الحدسية للوصول إلى معرفة الله ، ظهرت في القرنين الأول والثاني للميلاد.

[4] فيكلسون : الصوفية في الإسلام ، مرجع سابق ذكره ، ص78

[5] جميل صليبيا : المعجم الفلسفي ، ج 2 ، بيروت لبنان ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 م، ص169

الفيض الإلهي في الأفلاطونية الحديثة التي هي عبارة عن العقل الأول والنفس الكلية والهيولي والنفوس الجزئية موجودة عند بعض الصوفية " فلاسفة الأفلاطونية الجديدة يقولون : إن الله واحد وإن العالم يفيض عنه كفيضان النور عن الشمس ، وإن للموجودات مراتب مختلفة إلا أنها لا تؤلف مع الله إلا موجود واحداً[1] و يصوغها المتصوفة بصيغة أخرى " المتصوفون يقولون : إن الله هو الحق ، وليس هناك إلا موجوداً واحداً وهو الموجود المطلق ، أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية ، وليس له وجود في ذاته لأنه صادر عن الله تعالى[2] " هكذا يبدو تأثير التصوف الإشراقي الأفلاطونية الحديثة .

مما سبق عرضه حول مصادر التصوف الإسلامي يتضح لنا أن أصله ومنبعه إسلامي (القرآن الكريم والسنة النبوية) فهما البذرة الحقيقية للتصوف ، وقد اعترف بذلك أحد المستشرقين يقول ماسنيون[3] "كل بيئة دينية يتوافر لتقوى أبنائها الإخلاص والتفكير تصلح لظهور روح التصوف، والتصوف لا يختص إذن بعنصر أو لغة أو أمة ، بل هو روحي لا تحلو لا تحده مثل هذه الحدود المادية ، فمن القرآن يردد المسلم تلاوته ، ويتأمل في آياته ، وتقوم بفرائضه ، انبثق التصوف الإسلامي ونما تطوره "[4] فالتصوف إسلامي النشأة ولكنه تأثر بمصادر خارجية كالمسيحية واليهودية والهندية والفارسية واليونانية ، بعد أن تعرف عليها المسلمون عن طريق الفتوحات الإسلامية وحركة الترجمة في العصر العباسي ، وكان لها دور مهم في تطور التصوف الإسلامي ، والابتعاد عنه منبعه الأصلي ، وهذا بخلاف ما يدعيه المستشرقين من أن التصوف الإسلامي وليد المصادر الخارجية ، وكانت الحضارة حكر على الغرب ، وإن العرب مجرد نقله فقط للفكر الغربي.

---

[1] المرجع السابق ص 18

[2] لويس ماسين يون مستشرق فرنسي مولده ووفاته في فرنسا ، تعلم (1883-1962) العربية والفارسية والتركية و الألمانية والانجليزية ، درس تاريخ الاصطلاحات الفلسفية بالعربية ،له من الكتب مصطلحات الصوفية و أخبار الحلاج ونشر ديوان الحلاج

[3] ماسيين ومصطفي عبد الرازق ، لبنان ، د.ط، 1984 م، ص48

[4] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لزوجك عليك حق ، رقم الحديث 4903 ، فتح الباري شرح صحيح البخاري،مرجع سابق ذكره

خلاصة الفصل

من خلال العرض السريع للتصوف الإسلامي(مفهومه مصادره نشأته وتطوره) نصل إلي النتائج التالية:

1يمثل التصوف جانباً مهماً في تاريخ الفكر الإسلامي ، فهو جانب بارز في الحضارة الإسلامية علي اختلاف عصورها.

2اختلاف الباحثين في مفهوم التصوف لغة واصطلاحا ، وهذا راجع إلي غموض هدا المفهوم.

3التصوف لفظ مستحدث ، ولم يكن موجوداً في عهد الرسول ولا الصحابة ، فكان يطلق لفظ زاهد وعابد ثم ظهر لفظ صوفي.

4التصوف هو تهذيب للنفس وتطهير القلب من الرذائل والخطايا ، وذلك عن طريق العزلة والخلوة ، والابتعاد عن البشر ، ومجاهدة النفس للحد من الشهوات ، فهو يرتقي بالإنسان إلى تهذيب سلوكه ، عن طريق السمو عن الملذات الدنيوية والشهوات ، للفوز برضا الله والفوز بسعادة الدارين.

تمهيـد

تعود عناية العلماء ورجال الدين بالجانب السياسي إلى الصلة الوثيقة بين الدين والسياسة فقد ظهر عبر العصور دوراً الإسلامية علماء إشتهروا ببحوثهم السياسية وفقه وتص للانحرافات التي كانت تحدث هنا وهناك في سلوك الحكام، أو سوء تطبيق الأحكام الشرعية، أو ظهور الظلم والفساد في الأجهزة الإدارية الذي كان ينعكس بدوره على الحياة العامةً في العصر الأيوبي حيث للمجتمع وقد بدا ذلك جليا إعتمد الأيوبيون في إعلان دولتهم وتثبيت دعائم حكمهم علىُ علماء الدين من السنة الذين كانوا بمثابة قادة الرأي العام، ع وأحاطوا أنفسهم بالكثير من العلماء الذين كانوا بمثابة المجلس الاستشاري الذي يقف وراء صنع القرارات السياسية، وكان في طليعة أُولئك العلماءُ نخبة من الزهاد الصوفية الذي عرف عنهمُ مساندتهم للأيوبيين.

المبحث الأول :نـهاية الحكم الفاطمي وأثره على العلاقات بين الطرفين

تميزت العلاقة بين نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي عموما بالود، فقد كانت حسنة إجمالا، ولكنها سرعان ما تحولت تدريجيا إلى تباعد وتوتر، وقد ذكرت كتب التاريخ أن هناك وحشة حدثت بينهما، وأشار ابن الأثير :أن سبب الوحشة يعود إلى :أن صلاح الدين يوسف سار من مصر إلى بلاد الفرنج، ونزل حصن الشوبك 3 سنة 567 هـ1172/م وبينه وبين الكرك يوم فطلبوا الأمان واستمهلوه عشره أيام، فلما سمع نور الدين بذلك ذهب إلى بلاد الفرنج هو الآخر من جهة أخرى رحل صلاح الدين عن الشوبك عائدا إلى مصر وكتب إلى نور الدين يعتذر باختلال الأوضاع في مصر بأن هناك من الشيعة من يريد الانقلاب عليه ،وطول علي الاعتذار فلم يقبله نور الدين منه وعزم على قصده مصر وإخراجه منها[1].

وأضاف أيضا ابن الأثير حول حيثيات هذا الخلاف أن سبب اعتذاره عن الذهاب مع نور الدين لمحاربة الفرنج أن أصحاب صلاح الدين وخواصه من الاجتماع بنور الدين، فع زم نور الدين على إخراجه من مصر، فلما سمع صلاح الدين الخبر استشاره أهله منهم والده نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي وبقية أمراءه منعه أبوه من محاربة نور الدين فلما رأى هذا الأخير تراجع عن قراره[2].

ويبدو أن الخلاف بدأ قبل هذه الحادثة أي منذ تولي صلاح الدين الوزارة لدى الخليفة العاضد الفاطمي قبل أن يأتيه إذن بهذا القبول من طرف نور الدين، اعتقد أن صلاح يريد الانفراد بحكم مصر،وقد استطاع نور الدين محمود سنة 567 هـ 1170 /م أن يضم كل من الموصل وأعالي العراق تحت حكمه، وكان كل من الرجلين يرى أن المنطقة التي يحكمها هي المركز الحقيقي للإسلام ،وأخذ هذا الصراع يتصاعد ويظهر بشكل واضح مبينا اختلاف وجهات النظر السياسية بين الرجلين ،عندما أرسل نور الدين إلى صلاح الدين يطلب منه القدوم إلى حصن الشوبك والكرك، فقد ذهب ابن الأثير برواية محاولا إثبات خيانة صلاح الدين ،ولكن أبا شامة يقول أن

---

[1] إحسان إلهي ظهّير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005،ص44

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية(حروب الفرنجة في المشرق)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، 2011 م، ص421

صلاح الدين خرج فعلا لكن أمرا ما جعله يعود إلى القاهرة وأنه يخاف من البعد عنها فلم يقبل نور الدين عذره[1].

قام صلاح الدين بإرسال بعض الهدايا والأموال التي حصل عليها بعد وضع يده على قصور الفاطميين، لندع ابن واصل يروي لنا ما كتبه الملك الناصر إلى نور الدين مع الهدايا قائلا وكتب إليه بالإنشاء الفاضل(:سبب هذه الخدمة إلى مولانا السلطان الملك العادل أعز الله سلطانه، ومد إحسانه ومكن بالنصر إمكانه وشيد بالتأييد أركانه، ونصر أنصاره وأعان أعوانه ،علم الملوك بما يؤثره المولى بأن يقصد الكفار بما يقص أجنحتهم، ويقل أسلحتهم ،ويقطع حوارهم يبدو أن الهدية التي أرسلها صلاح الدين لم تكن كافيه حيث أنه عندما استلم الهدية قال(:ما كان بنا حاجه إلى هذا المال، وهو يعلم أن ما انفقنا الذهب في ملك مصر وبنا فقر إلى هذا الذهب ،وما لهذا المحمول في مقابلة ما جدنا به مقدار.

وهذا ما يؤكد لنا عزم نور الدين لسير نحو مصر من أجل القضاء على حكم صلاح الدين ،الذي أصبح بالنسبة له يشكل خطرا عليه وعلى أملاكه، ويبدو لنا مما تقدم أن الخلاف بين الرجلين منبعه سياسي بحت، ولا يخل للود بقضيه وأنه مجرد اختلاف وجهات نظر.

اعتبر نور الدين بلاد الشام بمثابة الأرض الرئيسية للمعركة ضد الصليبيين، وتطلع إلى مصر كمصدر للواردات تسد به نفقات الجهاد، ومصدر للطاقة البشرية الاضافية، في حين أن صلاح الدين كان على علم بأهمية مصر وتنافس على ثرواتها والاستيلاء عليها من قبل الحكام سواء في الداخل او الخارج، وعليه فقد كان صلاح الدين مقتنعا بأن النقطة الرئيسية في ذلك الوقت هي مصر، وبهذا فهو كان أكثر وعي من نور الدين للأخطار الناجمة عن إهمال مصر،وقد كانت مصر والدفاع عنها واحدا من اهتمامات صلاح الدين حتى آخر حياته.[2]

وفي عام 568 هـ 1173 م، طلب نور الدين محمود من صلاح الدين بغزو أراضي مملكة بيت المقدس في الكرك، في تلك الأثناء زحف نور الدين بجيشه من دمشق متجها إلى الكرك، فتجددت مخاوف صلاح الدين فانسحب بجيشه وعاد إلى مصر، بحجة أن والده مريضا، إذ يخاف عليه

---

[1] أسامة حسن، الناصر صلاح الدين، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1 ، الهرم، 1997 م ،ص. 21

[2] حصن الشوبك :حصن شديد لحصانة بناه بلدوين الأول Baldwin صاحب بيت المقدس سنة 509 هـ 115 /م جنوب البحر الميت، في منطقة عالية ليسهل عليه مراقبة القوافل في طريق الشام ومصر وهو قرب من حصن الكرك الفرنجي .انظر :ياقوت الحموي ،معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977 م، ج 3، ص370

الموت، سيخرج من قبضته ،وبالفعل كانت حجه صلاح الدين في محلها هذه المرة، فقد اشتد المرض على أبيه، فخشي أن يتوفى أبوه قبل وصوله، وجد صلاح الدين أباه قد سقط عن الفرس، وبقي أياما ومات، قبل وصوله في 27 ذي الحجة 568 هـ 1173 م.

يذهب ابن واصل إلى أن صلاح الدين كان هو وأهله منذ أن حكموا مصر خائفين من نور الدين أن يدخل مصر فيأخذها منهم، فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها ويملكونها في حال ما إذا أخرجهم نور الدين منها، فسير صلاح الدين أخاه الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين توران شاه بن أيوب إلى بلاد اليمن، أشار إليها وأقاموا بها وبعدها إلى النوبة، ولم تعجبه فاستأذن نور الدين بالسير إلى اليمن فأذن له في ذلك.

مما يؤكد لنا تخوف صلاح الدين الشديد وحرصه على إيجاد حلول واستخدام حنكته من أجل ضمان إمتلاك أكبر عدد من البلاد في حالة ما أخرج هو وأهله فيكون له مكان يأوي إليه وهذا دليل على وصول التوتر بين الطرفين إلى ذروته ويكشف عن غضب نور الدين الشديد حيث حسم أمره وعزم هذه المرة بصفه نهائية على محاربته وإخراجه من الديار المصرية.

تمكن توران شاه من الاستيلاء على اليمن وكذلك عدن سنه 569 هجري 1174 ميلادي واستولى على أموال عظيمه لعبد النبي صاحب اليمن، استقر حكم صلاح الدين.[1]

أما نور الدين محمود، ورغم كل ما انتابه حول صلاح الدين بأنه يريد الانفراد بحكم مصر، وأن ما فعله يعد تمردا عليه، إلا أنه لم يستطع أن يتدخل جديا في شؤونه، ولذلك اضطر إلى تجنب العداء بينهما، ولجأ إلى طرق أو إجراءات أخرى من شأنها إضعاف موقعه ومنها :أنه استدعى الأمراء النوريين، الذين رافقوا الحملة النورية إلى مصر مما أدى إلى نقص القادة لدى صلاح الدين، وانتزع نور الدين محمود حمص و الرحبة من ناصر الدين بن أسد الدين ش يركوه وفرق أعماله وأعطاه تل باشر ثم أخذها منه ،ورفض الاعتراف به كوزير في مصر، وظل يدعوه في[2] المراسلات الرسمية باسم الأمير الإسفهسلار، وكتب هذه العلامة تعظيما عن أن يكتب اسمه.

---

[1] التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية(بالموصل)، تح :عبد القادر أحمد بحليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963 م، ص 129.

2 بشير جلطي، حقيقة التصوف بّن التأصيل والتأثّير ، دار الكتب العلمية، بّيروت ،ص33

المبحث الثاني : صلاح الدين والصالح إسماعيل

- **الأوضاع السياسية في بلاد الشام بعد وفاة نور الدين محمود**

كان لوفاة نور الدين محمود3 ، أثر كبير في إبراز شخصية صلاح الدين، وتحديد العلاقة بينه وبين القوى الإسلامية في منطقة الشام والجزيرة، فقد كان يركز دعائم حكمه في مصر، وعند وفاة نور الدين بدأ الاستعداد للدخول في الفترة السورية الثانية التي امتدت من سنة 570 هـ حتى سنة 582هـ 1174 / م 1186 _ م4 ، وقد أثارت وفاة نور الدين مشكلة تقسيم دولته بين ورثته، مما هدد صفو الوحدة الإسلامية، وكادت أن ترجعه إلى حالة التمزق و الانقسام التي كانوا عليها من قبل أن يبدأ عماد الدين زنكي جهوده لوضع قاعدة صلبة لتوحيد الجبهة الإسلامية والتصدي للصليبيين[1].

لم يكن بين رجال الأسرة الزنكية من يصلح أن يكون خلفا لنور الدين محمود الذي لم يترك سوى ابن طفل في الحادية عشر من عمره، اسمه اسماعيل، وابنة صغيرة، وزوجته هي عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين آنر.

اضطرب الأمن في بلاد الشام نتيجة الصراعات حول الوصاية على الملك إلى صلاح وكثرت الحروب و الفتن بين هؤلاء القواد فأخرجوه بعد وفاة أبيه مجزوز الذوائب، مشقوق الجيب حاسرا حافيا، وهو يبدي الحزن والعويل على حد تعبير ابن واصل، وأجلسوه على العرش في القلعة وحلفوا له، وعينوا شمس الدين بن عبد الملك المعروف بابن المقدم قائدا للجيش وأتابكا له وكتبوا إلى ولاة الأطراف بإقامه الخطبة باسمه، وخاصة صلاح الدين، موضحين لهم بأن مهمته تنحصر في قيادة العساكر ضد الصليبيين، وهاته المهمة كانت بتكليف من نور الدين وتوقعوا معارضته، وقد صنع القاضي كمال الدين الشهرزوري للأمراء المحيطين بالصالح إسماعيل لكنهم رفضوا التضامن معه والاستعانة به لحل الخلافات[2].

---

[1] السير هاملتون، آ.رجب، صلاح الدين الأيوبي" دراسات في التاريخ الإسلامي"، تح :يوسف أيبش، بيروت، 1995 ، ص 121 -122

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، المرجع السابق، ص41

وجاء هذا الرفض لأنهم خشوا أن الملك الناصر في حال ما دخل البلاد أخرجهم منها، لذلك تغاضوا عن هذا الرأي، ومن بين هؤلاء الأمراء شمس الدين بن المقدم وحسام الدين الحسين بن عيسى الجراحي وغيرهم، حيث قال الشهروزي(:قد علمتم ان صلاح الدين من مماليك نور الدين ونوابه، والمصلحة أن نشاوره فيما نفعله، ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا، وهو أقوى منا لأن له مثل مصر، وربما أخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح.

وكان لإسماعيل ابنا عم، هما سيف الدين غازي الثاني أمير الموصل وأخوه عماد الدين زنكي أمير سنجار، لكنهما لم يكونا على مستوى الأحداث، ولم يتميزوا بالحكمة، وسرعان ما نشب الصراع بينهما، حيث أنهم لم يتفقوا حتى فيما بينهم على موقف موحد يعاون فيه بعضهم بعضا ضد صلاح الدين العدو المشترك، أما صلاح الدين فقد خطب للملك الصالح اسماعيل وضرب السكة باسمه فيها وأرسل إليه متظاهرا بالود والإخلاص تعازيه الخالصة له.

كانت سياسة صلاح الدين تقوم على مزيج بارع من الحرب والدبلوماسية، لمواجهة ورثه نور الدين و التغلب عليهم، لذلك اختار عدم التدخل في شؤون ولي العهد الصالح إسماعيل وتمت الوصاية عليه دون أن يشارك صلاح الدين في ذلك، واكتفى في رده على ابن المقدم بأنه لا يطلب للإسلام والمسلمين إلا جمع الشمل ولا ينبغي للبيت الزنكي إلا ما يدفع الضرر ويجلب النفع ويحفظ له الأصل والفرع، وأعلن على أنه نصير للبيت الزنكي وللسلطان اسماعيل وأنه يد على من ناواه، وسيف على من عاداه[1].

وكان من نتائج تلك المراسلة أن وجد صلاح الدين نفسه مضطرا إلى القنوع بمركزه في مصر انتظارا للفرصة الملائمة ليحقق ما يسعى إليه ألا وهو توحيد صفوف الجيوش الإسلامية في جبهة واحدة ضد العدو المتربص من كل مكان، وهذا ما كشف عن حقيقة التوجه الحقيقي لصلاح الدين وهدفه السياسي بجمع صفوف المسلمين تحت راية واحدة. في هذه الأثناء برز صراع آخر نشب بين شمس الدين علي بن الداية في حلب، وابن المقدم في دمشق، ويعتبر

[1] ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح :سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق،1654 ،ج، 2 ص355

هذان الاثنان من بين أقوى قادة نور الدين محمود، وكان النزاع بسبب الوصاية على الملك الصالح اسماعيل، واختلاف وجهات النظر حول كيفية قيادة الدولة، فقد أراد ابن المقدم العمل السياسي ضمن دائرة بلاد الشام تحت إمرة الأتراك من الأتابكة الزنكيين، بينما أراد ابن الداية العمل تحت إمرة صلاح الدين، بعد ضم مصر إلى بلاد الشام والتعاون مع الأكراد الذين ينتمي إليهم حاكم مصر، والأتراك الذين هم ينتمون إلى الأمراء النوريين.

أما صلاح الدين فقد كان هدفه أسمى وأبعد من مجرد الوصاية على خليفه نور الدين، أو الاستئثار بالحكم، فقد كان هدفه بناء الجبهة الإسلامية في مواجهة الصليبيين، وتصرف حيال هذا الأمر بهدوء وروية.[1]

أظهر سيف الدين غازي صاحب الموصل الفسق حيث أمر بإعادة المكوس والسماح بشرب الخمر والتظاهر بالمنكرات، كما سارع لاحتلال منطقة الجزيرة، وكان قد خرج من الموصل لمساعدة عمه في غزواته ضد الصليبيين ومما زاد من حدة الانقسامات أنها لم تقتصر على ما كان هناك من أطماع سيف الدين غازي الثاني، أو ما نشأ من تنافس بين ابن الداية وابن المقدم، بل ظهر طرف جديد في النزاع وهو سعيد الدين كمشتكين الخادم، وهو أحد قادة نور الدين محمود، والذي دخل في خدمة ابن الداية واتفق معه على أن يسير إلى دمشق ويحضر الملك الصالح.

أما السلطان صلاح الدين فقد بادر للزواج بعصمة الدين خاتون بنت منير أنر أرملة نور الدين محمود وهو يعتبر زواجا سياسيا بامتياز[2].

بعد خطف كمشتكين للصالح اسماعيل، ذهب به إلى حلب ليحكم باسمه فيها، قد كتب الخليفة المستضيء العباسي تقليدا بالسلطنة لصلاح الدين على مصر والشام وسرعان ما انقلبت الموازين وثار كمشتكين على ابن الداية وأدخله السجن مع عدد كبير من الأمراء ومن بينهم ابن الخشاب رئيس الشيعة بحلب، وانفرد هو بأتابكية الملك الصالح إسماعيل واستبد بتدبير أموره ناقضا بذلك اتفاقه أمراء دمشق.

---

[2] التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية(بالموصل)، تح :عبد القادر أحمد بحليمات،مرجع سبق ذكره،ص130

وهكذا أصبحت الوصاية على الملك موضع نزاع بين الدمشقيين والحلبيين، وأمام هذه الفوضى العارمة والأوضاع المضطربة، أخذ صلاح الدين بالتفكير بضرورة تحويل جهوده لأجل تحقيق الوحدة التي طالما حلم بها، وأراد تنفيذها على أرض الواقع، حيث أنه يرى نفسه الوارث الحقيقي لمملكة نور الدين ولسياسته في الجهاد.

المبحث الثالث :التوسع الأيوبي باتجاه الشام

وفي سبيل تحقيق الوحدة، كان صلاح الدين مدركا للحالة التي آلت إليها دولة نور الدين ،حيث أنها انقسمت إلى ثلاث دويلات ترتكز حول ثلاث مدن رئيسية وهي :الموصل، دمشق، حلب وهذا ما يعرض البلاد الإسلامية إلى أطماع وخطر الأعداء المتربصين في الخارج أي الصليبيين كاونت من بين الأسباب التي ساعدت صلاح الدين على دخول الشام أي تدخله في أمراء الملك الصالح، أن أمراء دمشق تحالفوا مع الملك عموري الأول في هذا الوقت الحرج، وأبرموا معه معاهدة، حيث أن ابن المقدم تعاهد مع الملك الصليبي عقب مهاجمته بانياس واستيلاء سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي على الموصل، وتقدمه لاحتلال الجزيرة الفراتية فأحس صلاح الدين بأنه الوارث الحقيقي للدولة الزنكية وقد مهد لدخوله بجملة من التدابير و الاجراءات.

لما ورد الخبر إلى صلاح الدين بملك سيف الدين غازي بلاد الجزيرة، أرسل إلى الملك الصالح يعاتبه، حيث أنه لم يعلمه قصد بلاده وأخذها ليحضر في خدمته وكتب إلى الأمير كمال الدين والأمراء يقول" :لو أن نور الدين يعلم أن فيكم من يقوم مقامي، أو يثق بي لسلم إليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته، ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد إلى أحد بتربيه ولده والقيام بخدمته غيري، وأراكم قد تفردم بمولاي وابن مولاي دوني، وسوف أصل إلى خدمته، وأجازي أنعام والده بخدمة يظاهر أثارها، وأجازي كلا منكم سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده. "[1]

واعتقد صلاح الدين أن أخ نور الدين وهو" مجد الدين "هو من سيتولى وصاية الصالح إسماعيل بعد وفاة نور الدين، فلما جرى ما جرى إستاء وعبر عن حزنه فقال" :أنا أحق برعي العهود والسقي

[1] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، تح :محمد زينهم عرب، يحي سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، ج 3 ، ص70

المحمود، فإنه إذا استمرت ولاية هؤلاء تفرقت الكلمة المجتمعة، وضاعت المناهج المتسعة انفردت مصر عن الشام، وطمع أهل الكفر في بلاد الإسلام.

وهذا الكتاب الذي أرسله إلى ابن المقدم يدل بشكل قطعي أن صلاح الدين يسعى بكل ما لديه من سلطة ونفوذ إلى تحقيق الوحدة بين صفوف المسلمين ونبذ التفرقة والشتات بينهم، وأنه يريد من وراء خطابه هذا الخير والصلاح للأمه الإسلامية ككل، لكن ابن المقدم كان له رأي آخر، ورد عليه يشكك ويكذب صحة أقواله، قال أبو شامة" فكتب:

ابن المقدم إليه يردعه عن هذه العزيمة، ويقبح له استحسان هذه الشيمة، ويقول له :لا يقال عنك أنك طمعت في بيت من غرسك، ورباك وأسسك، وأصفى مشربك، وأضفى ملبسك، ومحاسن أخلاقك وخلالك غير فضلك وافضالك وعند وصوله إلى صلاح الدين تبين أنه ما يريد سوى جمع شملهم وللبيت الأتابكي إلا ما يحفظ أصله وفرعه وأرسل صلاح الدين أيضا إلى الخليفة العباسي يتأسف لما حل بالمملكة النورية، عدد له انتصاراته، ويطلب تقليدا لحكم مصر واليمن والمغرب والشام، فكان له ما أراد.

بعد هذا الرد السيء، بدا على أمراء دمشق الخوف حيث أنهم وجدوا أنفسهم في موقف حرج، فقد خافوا أن يزحف عليهم كمشتكين من حلب، ويستولي على مدينتهم، كما قلقوا من زحف صلاح الدين باتجاههم، فاستدعوا سيف الدين غازي الثاني ليسلموه مدينتهم، غير أن أتابك الموصل تباطأ في الخروج ظنا منه بأنها مكيدة، واختار توطيد مكاسبه في الجزيرة، وسط الضغط من طرف سكان دمشق على ابن المقدم بضرورة دعوه صلاح الدين، فاضطر إلى دعوته إلى بلاد الشام واستدعوه ليملكوه البلاد[1].

- **تقدم صلاح الدين نحو الشام**

كان صلاح الدين على وشك التدخل في شؤون الشام، لكن الأسطول النورماني وصل إلى الإسكندرية مما أخره بعض الوقت، لذلك اكتفى بتلك الرسائل في الأول معلنا حقه في الوصاية

[1] نوري دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، 570 (هـ 589 _ هـ 1174 /م 1193 _ م)،رسالة ماجستير بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموصل، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976 م، ص . 119 ابن الأثير، الباهر، ص16

على الصالح إسماعيل، وبعدها خرج صلاح الدين من مصر بعد أن استخلف اخوه الملك العادل فيها، فوصل دمشق في جمادي الآخرة 570 هـ /نوفمبر 1741 م ولم يصطدم لحسن حظه مع الصليبيين الذين كانوا يشنون غارات على المعاقل الإسلامية في الشام.

وقد استقبل صلاح الدين في دمشق استقبالا طيبا، وفتح له ابن المقدم أبواب المدينة وسلمها إياه ومما يلفت النظر حرص صلاح الدين على إعلانه في خطاباته بأنه ملوك الصالح إسماعيل، أي تبعيته و انصياعه التام لبيت الأتابكي وهذا يعتبر اجراء سياسيا، تمتع صلاح الدين بخبرة سياسية ومهارة منقطعة النظير، لكي يرجع أملاكه الضائعة منه، وإعادتها إلى سابق عهدها وإعلاء راية الجبهة المتحدة.

حاول صلاح الدين كسب الرأي العام الإسلامي إلى صفه وذلك بإعلانه الجهاد ضد الصليبيين وسخطه على ما قام به الأمراء النوريون وظهر بمظهر المدافع عن مصالح الصالح اسماعيل ويتضح لنا أنه نجح في أن يحول من مسألة خاصه تهمه إلى مسألة عامه تهم الجميع واستمال قلوب الدمشقيين بتوزيع الأموال والهبات.

لم يلقى صلاح الدين أي مقاومه عند دخوله دمشق فأخذها بلا طعنة ولا ضربة على حد تعبير الحنبلي، أي أنه لم يجد أية ردة فعل مما سهل عليه مهمته، فاستولى على حماة ثم حاصر حلب ثم التقى عز الدين مسعود بن م ودود بن صاحب الموصل وهزمهم على قرون حماة شر هزيمه ولم يعد المواصلة قادرين على الهجوم، استناب أخاه بدمشق سيف الإسلام، وأخيه العادل كان بمصر[1].

ويصف قدري قلعجي بخصوص دخول صلاح الدين دمشق فيقول :أقبل صلاح الدين إلى الشام مدعوا من أهلها، مؤيدا من الخليفة العباسي، قويا بجيشه وخبرته، وتتقدمه شهرة واسعه باذخة واسم مقترن في الأذهان بالبأس والنبل والمروءة .مما يدل على أن صلاح الدين أصبح في هذه الفترة معقد أمال المسلمين ومحطة انظارهم في منطقه الشام ضد الخطر الخارجي.

[1] ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح :أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،1971،ص98

وبهذا يكون صلاح الدين قد نجح في ضم دمشق، بعد قضائه على الثورات التي هددت استقرار الحال في مصر ،بعد خمس أشهر من وفاة نور الدين قضاها يراقب أوضاع دمشق السياسية وينتظر الفرصة المناسبة له بالتدخل في شؤونها حيث استقبل استقبالا طيبا، وفتحت له أبواب المدينة، و امتنعت القلعة التي كانت بيد خادم يدعى جمال الدين ريحان فراسله صلاح الدين حتى استماله، وأغزر له نوله ،وتملك المدينة والقلعة حيث أوضح نيته بالمجيء لدمشق بأنه جاء لتربية الملك الصالح ،وحفظ ما له من المصالح ،وتدبير ملكه فهو أحق بصيانة حقه. [1]

أخذ صلاح الدين ما في القلعة من أموال وكنوز وفرقها على الأهالي وأمر برفع المكوس وإبطال المنكرات والضرائب المستحدثة بعد وفاة نور الدين، فأعجب الناس بهذه المبادرة ومدحه الفقراء مما عزز مكانته وجمع الناس حوله وهو مع هذا يظهر طاعته للملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكة باسمه.

المبحث الرابع :الدور الأيوبي بعد وفاة الصالح إسماعيل

تابع صلاح الدين تقدمه باتجاه الشمال بعدها عين أخاه طغتكين واليا على دمشق، فضم حمص وتقدم باتجاه حلب بعدما استعصت عليه القلعة.

اعتقل كمشتكين ابن الداية بعد خروج صلاح الدين، وتفرد بحكم المدينة، وسعى لتثبيت نفوذه وأخذ يخطط لإبعاد صلاح الدين عن حلب بكل الوسائل، وعند تقدم صلاح الدين من حلب، بعث له كمشتكين كتابا وصفه فيه بالغرور والطمع ولكن صلاح كان على علم بنية كمشتكين، فكان يراسل الملك الصالح لتوضيح الأمور له، تفاديا لتردي العلاقات بينهما[2].

غادر صلاح الدين إلى حماة ووصلها في 28ديسمبر أول جماد الثاني من سنة 570 هـ 1174م بعد أن ترك على القلعة من يحاصرها فخرج إليه صاحبها عز الدين جرديك وسلمه حماة دون قلعتها لأنها لم تكن تحت يده، واتفق الاثنان على أن يكون جريدك سفيرا بين صلاح الدين وبين مدينة حلب لإقرار الصلح ومنع القتال، فلما وصل إلى حلب وفاتح كمشتكين في أ مر الصلح اتهمه بتأييده لصلاح الدين وقبض عليه.

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص423

2 إحسان إلهي ظهِير ، التصوف المنشأ والمصادر، دار ترجمان السنة، البكستان، 1981،ص96

لم يكتف كمشتكين بهذا فقط بل سعى للتخلص من صلاح الدين بكل الوسائل، واتجه للاستعانة بالحشاشين (الباطنيين) و الصليبيين وعقد تحالفات معهم .فما لبث راشد الدين سنان وهو مقدم الإسماعيلية الباطنية أن أرسل إلى معسكر صلاح الدين جماعة من الفداوية لقتله،وعند اقترابهم من تنفيذ مخططهم انكشف أمرهم[1].

كما استعان كمشتكين بريموند الثالث وهو الوصي على بلدوين الرابع ملك بيت المقدس وقد قصد هذا الأخير حمص ووصل رسوله إليها سنة 570 هـ 1175 /م واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار على حلب لملاقاة ريموند .استغل صلاح الدين الفرصة واستولى على قلعة حمص وقطع المدينة وقلعتها لابن عمه محمد بن شيركوه.

استولى صلاح الدين بعدها على قلعة بعلبك وهكذا فشل كمشتكين في القضاء على صلاح الدين ونجح صلاح الدين في فك الحصار على حلب عبر كمشتكين عن امتنانه للصليبيين بأن أطلق سراح الأسرى في قلعة حلب وعلى رأسهم رين ودي شاتيون(أرناط)،أدرك بعدها الزنكيون أنهم يجب عليهم الاتحاد في سبيل القضاء على صلاح الدين الذي صار يشكل خطرا عليهم نتيجة ازدياد ق وته ونفوذه، ولذلك قام سيف الدين غازي الثاني صاحب الموصل بإرسال جيش إلى الشام بقياده أخيه عز الدين، وانضم إليه الجيش الحلبي وزحف الجميع على حماة، وعندئذ عرض صلاح الدين على الزنكيين أن يترك لهم حمص وحماة على أن يقتنع هو بدمشق نائبا عن الملك الصالح منتميا إليه والصلح بينهما.

ولكن سرعان ما عادت العمليات العسكرية من جديد وانهزم فيها الجيش الزنكي في معركة في منطقه تسمى" قرون حماة "في 19 رمضان عام 570 هـ 23 /أفريل 1175 م، وأسر جماعة منهم ثم أطلقهم وأمر بقطع الخطبة للملك الصالح، وأزال اسمه من السكة في المناطق الواقعة تحت حكمه[2].

دخل الطرفان في معركة أخرى تسمى بمعركة تل السلطان كمحاولة أخيرة لطرد صلاح الدين من بلاد الشام، ذلك أن سيف الدين غازي الثاني لم ييأس عندما سمع بالهزيمة، وأثاره حصول صلاح

---

[1] علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار الفكر الحديث للنشر، ط1 ،مصر ،1952،ص204

2 عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية(:التاريخ السياسي)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997 م، ص89

الدين على تقليد من الخليفة العباسي بحكم مصر وبلاد الشام بالإضافة إلى سك النقود باسمه مما دفعه إلى وضع خطه للانتقام منه فقام بإرسال إلى أمراء حلب يلومهم على تسرعهم في طلب الصلح، وأرسل إلى ريموند الثالث صاحب طرابلس يطلب منه أن يتحالف معه ضد صلاح الدين وجهزوا جيشا عظيما سار باتجاه دمشق في 571 هـ 1176 /م، و مني الزنكيون بخسارة فادحة رأى الطرفان فيما بعد الدخول في مفاوضات نتيجة التشتت الذي حصل في الصفوف الإسلامية[1] وتقدم كل من الطرفين بتنازلات وهي :أن يكونوا يد واحدة ضد الصليبيين،أن لا ينقض أحد الأطراف الهدنة، أن يتنازل صلاح الدين عن قلعة عزاز للملك الصالح إسماعيل وعقدت الهدنة سنة 572 هـ 1176 /م.

توفي سيف الدين غازي الثاني، وخلفه عز الدين مسعود الأول توفي بعدها الصالح إسماعيل في حلب عام 577 هـ 1181 /م، وأوصى قبل وفاته إن يخلفه ابن عمه عز الدين مسعود الاول في حكم حلب.

ولكنه سرعان ما تنازل عن حكم حلب، نظرا للانقسامات التي ظهرت من جديد في البيت الأتابكي، ذلك أن عماد الدين زنكي الثاني صاحب سنجر طمع في حكم حلب فأرسل إلى أخيه عز الدين يطالبه بنصيبه من الإرث، وأن يقدم له حلب بدلا من سنجار لكنه رفض فثار عليه وسانده في ذلك مظفر الدين كوكبوري قائد جيش حلب، وهدده بتسليم سنجار إلى صلاح الدين مما دفع به إلى التنازل عن حلب مقابل سنجار، فيما ظفر مظفر الدين كوكبوري بإمارة حران على سبيل المكافأة[2] .

وسط هاته الظروف المشحونة قرر صلاح الدين مغادرة مصر باتجاه الشرق لأنه رأى في تصرف عز الدين مسعودة نقضا للمعاهدة المبرمة بين الطرفين، وطلب من تقي الدين أخيه وغيره من الأمراء بمهاجمة مناطق غرب الجزيرة، لكنه عجز عن ذلك، ولم يستطع منع عز الدين مسعود من

1 عبد الحميد عبد مبكور، نظرات في التصوف، دار الهاني، القاهرة 2006،ص70

2 سلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بَنوت لبنان ط الثانية 2003’،ص45

دخول حلب، في الوقت الذي كان فيه فروخ شاه حاكم دمشق منهمكا في التصدي لمحاولات أرناط لاجتياح الجزيرة العربية .

كتب صلاح الدين رسالة إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله، يعدد له انتصاراته، وموضحا له سوء الأوضاع في بلاد الشام، وتعرض حارم لهجوم الصليبيين، وكان له ذلك فحاصرها ثلاث أيام، وبعدها رحل إلى الموصل وحاصرها على ثلاث مراحل حيث فشلت المفاوضات في المرحلة الأولى، وضم خلالها سنجار سنه 578 هـ 1182 /م وأخفقت كل المحاولات من جانب عز الدين مسعود وحلفائه لإخراج صلاح الدين، واستمر في توغله فضم آمد وحلب سنوات 578هـ 579 هـ مما زاده قوة، وازدادت الجبهة الإسلامية تماسكا[1].

في الحصار الثاني للموصل حاول صلاح الدين تدعيم موقعه أمام الخليفة العباسي لعجزه على الاستيلاء على الموصل بسبب تعثر المفاوضات، ويخبره بع زمه على تصفية أموره بالموصل وحاول ضم خلاط وميافارقين وتحقق له ذلك.

استغل عز الدين مسعود مرض صلاح الدين وبعد محادثات بين الطرفين تقرر ما يلي :أن يبقى عز الدين مسعود الأول حاكما على الموصل، ويخطب لصلاح الدين على منابر الموصل وأن يتعهد بمساعدته بالجيوش والعتاد لاسترداد بيت المقدس.

المبحث الخامس :تعقيب حول علاقات صلاح الدين مع الزنكيين

تميزت العلاقات بين الملك الناصر ونور الدين محمود عموما بالود، لكن وقع ما أوجب العداء بينهما، أو حسب ما سمته المصادر بالوحشة، يعود سبب هذه الوحشة إلى عودة صلاح الدين إلى مصر، بعد أن خرج منها وتوجه إلى حصن الشوبك سنة 567 هـ 1172 /م، وذلك بعدما تفاهم مع نور الدين محمود على منازلة الفرنج، مما اعتبره نور الدين تمردا عليه وأنه يريد الانفراد بحكم مصر، فعزم على إخراجه من حكم مصر[2].

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1972 م ص 34

2 الشعراني عبد الوباب ، الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار في مناقب العلماء والصوفية، ضبطه وصححه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت،ص32

والواقع أن الخلاف بين الرجلين قد بدأ مبكرا منذ تولي صلاح الدين الوزارة على مصر، وذلك بسبب اختلاف وجهات النظر السياسية، فكان نور الدين يرى بأن دمشق هي قلب الإسلام، فيما أدرك السلطان الناصر أهمية مصر الجغرافية والاقتصادية، وهذا ما أدركه الصليبيون فسعوا إلى امتلاكها.

بعد وفاة نور الدين محمود، برز صلاح الدين كشخصية قيادية فذة، لاسيما بعد المشاكل التي توالت بعد موت نور الدين من صراع أمراءه وورثته، مما أدى إلى تعكير صفو الوحدة الإسلامية فأخذ صلاح الدين على عاتقه مهمة توحيد الجيوش الإسلامية[1].

كان لنور الدين ابنا صغيرا لا يتجاوز 11 سنة من عمره، وهو الصالح اسماعيل، وشكلت الوصاية عليه مشكلا و اضطرابات سياسية في بلاد الشام وكثرت الحروب والفتن.

قامت سياسة صلاح الدين على مزيج بارع من الحرب والدبلوماسية لمواجهة ورثة نور الدين والتغلب عليهم، فاختار هذا الأخير عدم التدخل في شؤون ولي العهد الصالح إسماعيل، فكان كلما سنحت له الفرصة يؤكد أنه نصير للبيت الزنكي، حيث قام بإرسال مراسلة إلى ابن المقدم يشرح له أنه يريد السلم للبيت الزنكي وللإسلام والمسلمين كافة ولا يريد سوى لم الشمل ونبذ الحرب.

نشوب صراع بين ابن الداية في حلب وابن المقدم في دمشق بسبب اختلاف وجهات النظر السياسية في هذه الأثناء قرر صلاح الدين التصرف بروية وهدوء، حيث أن هدفه كان أسمى من مجرد الوصاية على الملك الصالح، ألا وهو توحيد الجبهة الإسلامية في صف واحد ضد العدو الصليبي.

في ظل الصراع القائم بين أمراء الصالح إسماعيل بادر الملك الناصر صلاح الدين للزواج بعصمة الدين خاتون بنت أنر أرملة نور الدين، وهو يعد زواجا سياسيا بامتياز، لحفظ البيت الزنكي من الانقسام وتعزيز حظوظه في الوصاية وجاءت ثمرة جهد وصبر صلاح الدين بكسبه تقليدا جامعا على مصر والشام من قبل الخليفة العباسي المستضيء بالله، وأصبحت الوصاية على الملك الصالح موضع صراع بين الحلبيين والدمشقيين، وأمام هذه الفوضى العارمة، والأوضاع

[1] قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي" قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1 ، بيروت، 1992 م، ص. 228

المضطربة، أخذ صلاح الدين بتوجيه جهوده نحو بناء الجبهة التي طالما حلم بها، وأراد تنفيذها على أرض الواقع[1].

على إثر تحالف أمراء الملك الصالح في وقت حرج جدا مع الكيان الصليبي على أعقاب مهاجمته على بانياس، فاستعد صلاح الدين للدخول الى دمشق متبعا جمله من التدابير.

بعث صلاح الدين برسالة إلى الملك الصالح يلومه بعدم إعلامه بتملك سيف الدين غازي بلاد الج زيرة، كما أرسل إلى الأمراء يذكرهم لو أن نور الدين مازال على قيد الحياة، لكان أنكر هذا العداء بينهم، ولا وكله (الملك الناصر) أمر الوصاية على ابنه . مما يؤكد رغبة صلاح الدين في توحيد صفوف المسلمين، وليس طمعا في الحكم والتفرد بالسيادة عليهم[2].

أرسل في هذه الاثناء السلطان إلى الخليفة يعدد له انتصاراته، ويطلب تقليدا شاملا لحكم مصر واليمن والمغرب والشام فكان له ذلك.

وسط استيلاء كمشتكين على حلب، وسعيه إلى توسيع نطاق حكمه، لم يجد ابن المقدم سوى حل دعوة صلاح الدين ليملكه بلاد الشام.

خرج صلاح الدين من مصر وترك بها أخوه العادل في أواخر جمادى الآخرة سنة 570 هـ / 1174م متوجها نحو الشام[3].

لم يجد صلاح الدين أي مقاومة من طرف الدمشقيين، فقضى على الثورات التي هددت استقرار الحال في مصر، واستقبل استقبالا رائعا في دمشق، بعد ستة أشهر من وفاة نور الدين قضاها يراقب في أوضاع دمشق السياسية وينتظر الفرصة الملائمة للتدخل.

بعد وفاة الملك الصالح إسماعيل، تجددت الممارسات الانفصالية من طرف كمشتكين، فهاجم الملك الناصر هذا التمرد خصوصا بعدما تحالف هذا الأخير مع الصليبيين، وانتهج الأسلوب العسكري، ودارت بينهما معارك، ولم يكتفي كمشتكين بذلك فقد تحالف مع الحشاشين ضده، لكن مخططهم انكشف.

---

[1] القشّني أبو القاسم ، الرسالة، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف دار الشعب القاهرة ،1989،ص12

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، مرجع سبق ذكره، ص35

[3] ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح: أبو النور، مطبعة السنة الحمدية، القاهرة، 1997، ،ص62

كانت المعارك التي خاضها السلطان الأول معركة قرون حماة 570 هـ 1175 /م، وثاني كل السلطان في العام الموالي 571هـ 1176 /م فرصة للملك الناصر حيث أنها أفرزت معاهدات واتفاقيات بينه وبين الزنكيين.

توفي الصالح اسماعيل في 577 هـ 1181 /م وخلفه ابن عمه عز الدين مسعود على حكم حلب، وساءت الأوضاع من جديد في بلاد الشام، لكنها حلت في الأخير، ببقاء عز الدين على حكم الموصل بشرط أن يخطبها لصلاح الدين على منابر الموصل وأن يتعهد بمساعدته بالجيوش والعتاد لاسترداد بيت المقدس.

لجأ صلاح الدين إلى استعمال القوة العسكرية لكي يقضي على المؤامرات التي من شأنها أن تهدد استقرار الجبهة، هذه الأساليب العسكرية تمخضت عنها إلزامية هؤلاء المتمردين اللجوء إلى العمل السياسي وذلك بطلب المعاهدات والاتفاقيات كدليل على استسلامهم، فلو استمر العمل العسكري لأصبح هؤلاء في عداد القتلى[1].

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك مرجع سبق ذكره، ص36-37

خلاصة الفصل

كانت الدولة الأيوبية من أهم دول التي ساهمت في نشر الصوفية في بلاد الشام و مصر و ذلك بفضل حنكة و رزانة قائدها صلاح الدين الأيوبي و دعم الكثير من رجال الدين له و لاشك كان لسقوط الدولة الأيوبية بالغ الأثر في نفوس و حدث تاريخ مهم و منعرج حاسم في تاريخ الصوفية.

الفصــل الثالث : قيــام الدولــة الأيوبـية

تمهيـد

نشأت الدولة الأيوبية في عام (567هـ /1171م) مع بروز السلطان صلاح الدين الايوبي وسيرته خلال دولة الفاطميين ومن ثم ضعف الخلافة الفاطمية عندما كان وزيراً فيها الى ان أعلن قيام دولته في خضم الصراع ضد الصليبيين أثر التزام السلطان صلاح الدين الأيوبي بسياسة الجهاد ضدهم فنشأت مبررات وجود الدولة الأيوبية وديمومة بقائها على جهادها.

الفصـــل الثالث : قيـــام الدولـــة الأيوبـية

المبحث الأول :أصل الأيوبيين

إن أصل الأيوبيين قد اختلف عليه الكثير من المؤرخين، وذلك بسبب التضارب الذي يوجد في الروايات، فهناك بعض الروايات التي ترجع أصل الأيوبيين إلى الأكراد، وأيضا الأرمان، وأذربيجان المستعربين، ولكن بنو أيوب قد أنكروا ذلك وقالوا بأن أصولهم هي عربية، كما أن هناك البعض الذي يقول بأن أصلهم يرجع إلى قريش.

إن القوة للأيوبيين قد ظهرت مع اسرة نجم الدين، وهو والد صلاح الدين، وقد إستمرت القوة في التزايد على يديه وعلى يد أخيه أسد الدين، وقد أظهروا حسن بلائهم في القيادات العسكرية الأمر الذي سمح لهم بالترقية والوصول الى المناصب العالية بسرعة، فقد تولى نجم الدين بعلبك ثم من بعدها تولى دمشق، وظل في ذلك المنصب حتى توفى نور الدين زنكي.

مع إرتفاع إسم الأيوبيين في بلاد الشام كأهم قادة عسكريين في المنطقة، قد كانت الدولة الفاطمية على وشك الإنهيار، وقد كان الصراع على الكرسي في ذلك الوقت شديد للغاية، وهنا لجا واحد من المتنافسين على الكرسي وهو شاور الى نور الدين زنكي، حتى يستطيع أن يرجع الى منصبه وذلك بعد أن تم الانقلاب عليه، وإستعان الوزير درغام هو الآخر بالصليبيين، وهنا أرسل نور الدين زنكي حملة بقيادة أسد الدين شيركوه وكان معه صلاح الدين كواحد من القادة في الحملة وحقق أسد الدين الانتصار واستطاع أن ينتزع الوزارة في مصر، ولكنه بعد الحكم بثلاث اشهر توفى، وقد خلفه إبن أخيه صلاح الدين في الحكم، وإستطاع أن يفرض سيطرته في وقت قصير للغاية، وقد أمر بالدعاء إلى الخليفة العباسي بدل من الخليفة الفاطمي على المنابر[1].

إستطاع صلاح الدين في وقت قصير للغاية أن يفرض سيطرته على مصر وعلى بلاد الشام، حتى أنه إستطاع ان يقف في وجه الصليبيين و يوجههم بكل قوة، وقد توفى في عقد صلح الرملة[2]، ولكن قد قام بتقسيم أقاليم الدولة بين أبنائه وقد إختلفوا فيما بينهم، وقد استقل كل منه

---

[1] الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريّ14 –15الديلاديّ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد العزيز فيلالي جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2008 –2009،ص62

2 صلح الرملة : كانت بين الصليبيين وصلاح الدين عام 1192م، الذي تضمن هدنة، وكان من بنوده :احتفاظ الصليبيين بمدن الساحل من صور إلى يافا .ضمان حرية حج المسيحيين إلى بيت المقدس دون تقديم ضرائب .بقاء قس من الصليبيين في القدس

بحكمه في اقليمه، وقد كانت واحدة من العادات التي اسقطت الدولة الأيوبية هي شراء المماليك بشكل كبير، حيث ان المماليك استطاعت أن تقتل آخر سلاطين بني أيوب في مصر، وهو توران شاه، وقد استطاعوا ان يقوموا بتأسيس دولة المماليك البحرية، ولكن باقي الأيوبيين قد قضى عليهم المغول في دمشق وحلب.

المبحث الثاني : نشأت الدولة الأيوبية

في عصر ما قبل الدولة الأيوبية في مصر، سادت ظروف صعبة من الاضطرابات الأهلية والمجاعات، وذلك بعد عقود طويلة من الحكم الفاطمي القمعي، فاضطر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 466 هـ 1073م إلى الاستعانة بوالي عكا بدر الجمالي واستنصاره ضد الثورة التي ظهرت في أركان قيادة جيشه وبين الجند، والتي فرّقت صفوفه وشتّتت جهوده، فاستجاب بدر الجمالي لطلب المستنصر، وتمكن من إعادة الحكم إليه بالقوة العسكرية والسياسة الحكيمة، لكن في مقابل ذلك، فقد آل الحكم فعليًا إلى يد بدر الجمالى، فعيّنه الخليفة المستنصر وزيرًا للدولة بصلاحيات واسعة، ليبدأ بذلك ما سُمي بـ "عصر الوزراء العظام"، فأصبح الوزراء في الدولة الفاطمية هم أصحاب السلطة الفعلية مقابل حكم شكلي للخليفة، وقد استمرت هذه الفترة الممتدة من حكم بدر الجمالي سنة 1073م، إلى أن أنهى صلاح الدين هذه الدولة نهائيًا، وكان عمه أسد الدين شيركوه سنة 1169م هو آخر هؤلاء الوزراء.[1]

وقد اتسمت هذه المرحلة بطابع من المؤامرات الداخلية والصراعات بين الحاشية، فانتشرت الخيانات بين الخليفة وأتباعه من جهة، والوزراء وجنوده من جهة أخرى، فوصلت البلاد إلى حالة متردية من الضعف والفرقة والانحلال، فاستغل الصليبيون حالة الضعف هذه في مختلف أركان الدولة، فتقدّموا بشكلٍ كبيرٍ باتجاه مصر، وقد بقي الحال على ذلك إلى انقراض سلطة الخليفة الفاطمي كليًّا، وذلك بعد حوالي سنتين من بدء صلاح الدّين الأيوبي تولي شؤون الوزارة، حيث

[1] عبد الحميد عبد مبكور، نظرات في التصوف، دار الهاني، القاهرة، 2006، ص13

بسط في مصر حكم الأيوبيين، وأعلن نهائيًا سقوط الدولة الفاطمية وانتهاء عصر حكم الفاطميين تمامًا عام 1171م. [1]

نشأت الدولة الأيوبية في مصر، وامتدت على رقعة واسعة من الشام إلى اليمن ووصولًا إلى النوبة وشمال إفريقية، وكان صلاح الدين هو مؤسسها، بدأ وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ونائبًا للسلطان نور الدين محمود على مصر في آن واحد، تمكن من تركيز الصلاحيات في يده وصار المتصرف في الأمور، فتمكن من إعادة مصر لحضن الدولة العباسية، ثم أغلق مراكز التعليم الشيعية الفاطمية، وبدأ بنشر المذهب السني، وبعد وفاة خاله السلطان نور الدين زنكي، توجه إلى دمشق، ثم ضمَّ حمص وحلب، ثم قام بتحصين جنوب بيت المقدس، استعدادًا لأي هجوم أو اعتداء من أرناط حاكم قلعة الكرك، والذي اعتاد على مهاجمة الحجيج والأماكن المقدسة في مكة والمدينة، كما اعتنى صلاح الدين بميناءي القلزم وجدة، وقد استرد صلاح الدين مدينة القدس في 27 رجب 583 هـ 2 أكتوبر 1187م، بعد انتصار جيشه في معركة حطين[2]، ثم تمكنت جيوشه من تحرير معظم موانئ الشام على طول ساحل فلسطين ولبنان، ثم جاءت الحملة الصليبية الثالثة فأعادت عكا إلى الصليبيين، واضطر صلاح الدين لتوقيع صلح الرملة مع ريتشارد قلب الأسد.[3]

حرص صلاح الدين على بقاء الولاء للخلافة العباسية في بغداد ولو بشكل رمزي، مما ساعده على إضفاء الشرعية لتوسيع سيطرته، وأدى طموح صلاح الدين في تأسيس دولة كبيرة وقوية

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح :عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012 ، ج9 ، ص342

2معركة حطين: معركة فاصلة بين الصليبيين والمسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وقعت في يوم السبت 25 ربيع الآخر 583 هـ الموافق 4يوليو 1187 م بالقرب من قرية المجاودة، بين الناصرة وطبريا انتصر فيها المسلمون، ووضع فيها الصليبيون أنفسهم في وضع غير مريح إستراتيجيا في داخل طوق من قوات صلاح الدين الأيوبي، أسفرت عن تحرير مملكة بيت المقدس وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون.

[3] عفاف غرزول، الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (6-10هـ/12-16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد2 ، العدد01،ص19

للمسلمين بأن يرسل حملة عسكرية إلى اليمن ليضمها إلى مصر والشام في مواجهته مع الصليبيين، وبخاصة لأن اليمن كانت من ولايات الدولة الفاطمية قبل سقوطها.[1]

وإلى جانب دافع الطموح لدى صلاح الدين في توحيد بلاد المسلمين، فقد وردت كذلك أخبار عن بعض رسائل جاءت إليه من أهل اليمن تشكو من ظلم ولاتها، وتطلب من الدولة الجديدة في مصر المجيء إلى اليمن لتحكمه، فقام صلاح الدين بإرسال أخيه توران شاه في حملة إلى اليمن سنة 569هـ/ 1173م، حيث كانت اليمن تتقاسمها دويلات وقبائل متصارعة على السيادة والنفوذ، فأخذ الأيوبيون بعضها أحيانًا باليسر، وأحيانًا كثيرة ببعض الصعوبات في محاربة تلك الدول والقضاء عليها بدءًا بدولة بني مهدي في زبيد.[2]

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، تم تقسيم الدولة الأيوبية بين أخيه العادل أولاده الخمسة سنة 1193، ثم تمكن العادل من إعادة توحيد المملكة من 1200–1218، وبعد 1218 أعيد مجددًا تقسيم الدولة، فبقيت مصر في يد الملك الكامل من 1218–1238، واستقل في دمشق وحمص وحلب ملوك أيوبيون صغار. وبقيت مصر هي الفرع الأساسي حتى مقتل الملك المظفر بأيدي المماليك سنة 1250 م. ثم أنهى المغول السلالات الفرعية المتناثرة سنة 1260 م كما أنهى المماليك فرع الأيوبيين في حمص سنة 1262، ولكن بقي للأيوبيين فرع صغير يحكم في حماة حتى سنة 1341، كما بقي لهم فرع مستقل في اليمن.

إعادة احتلال الصليبيين للقدس من الشائع الاعتقاد أن صلاح الدين قد حرر القدس نهائيًا من الصليبيين، إلّا أنّ الحملة الصليبية الثالثة في آخر حياة صلاح الدين كانت قد أوشكت على استرداد القدس، فالخطر الصليبي لم ينتهي بمعركة حطين، كما توالت الحملات الصليبية الكبيرة حتى تمكنت إحداها من احتلال القدس من جديد، ولكنه كان احتلالًا مؤقتًا لفترة وجيزة، فلم تشكل إعادة التحرير معجزة في ضمير الأمة كما حصل أول مرة. ولعل هذا هو سبب عدم اشتهار هذه

---

[1] عبد الحكيم عبد الغني قاسم صاحب كتاب الدائب الصوفية ومدارسها، بمدرسة حسن البصري ،مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية 1999،ص56

[2] المرتضى الزبيدي، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تح :صلاح الدين المنجد، دار الكتاب، ط2 ، لبنان، 1983 م، ص 36

الحادثة، ففي سنة 637 هـ، تولى الحكم في مصر السلطان "الصالح نجم الدين أيوب" الملقب بالملك الصالح، ويعدّ بعد صلاح الدين أفضل السلاطين الأيوبيين، ولا يعرف الناس عادةً عن تاريخه كثيرًا حتى في مصر، وبدأ بعض الأمراء الأيوبيين الاستعداد للقتال معه على حكم مصر فوقعت بينهم بعض المناوشات والحروب، حتى أنهم توحدوا بقوة واحدة ضده وتحالفوا مع الصليبيين في مقابل تنازلهم عن بيت المقدس للصليبيين!.[1]

وبدأ زحف هذه الجيوش باتجاه مصر، فأعد الملك الصالح العدة، وولى على قيادة الجيش أحد أكفأ القادة ركن الدين بيبرس، ولكن اضطر للاستعانة بالجنود الخوارزمية المرتزقة بسبب قلة عدد جيشه مقابل جيوش الأمراء الأيوبيين، وكان هؤلاء مرتزقة يعرضون خدماتهم العسكرية مقابل الأموال، ودارت معركة هائلة عرفت باسم موقعة غزة في سنة 642 هـ، وقد انتصر فيها الملك الصالح انتصاراً مؤزرًا، كما قُتل من الصليبيين جند كثير وصلت أعدادهم حوالي ثلاثين ألفًا، كما وقع في الأسر عددٌ من أمرائهم وملوكهم، وكذلك من أمراء الأيوبيين. واغتنم الملك الصالح أيوب هذه الفرصة فتوجه من فوره إلى بيت المقدس، فاقتحم الحصون وأعاد تحريرها بجيشه المدعوم بالخوارزمية سنة 643 هـ، وبذلك تحررت مقدس نهائيًا، ولم يتمكن جيش صليبي مجددًا أن يدخلها بعد ذلك لمدة سبعة قرون متوالية وذلك عندما دخلها الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى كما أكمل الملك الصالح طريقه في اتجاه دمشق، وأعاد توحيد مصر والشام، كما اتجه لتحرير بعض المدن الأخرى التي كانت لا تزال واقعة تحت السيطرة الصليبية، فحرر طبريا وعسقلان وغيرها.[2]

المبحث الثالث :بداية حكمهم

كانت اللبنة الأولى لبداية حكمهم، أن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين و أخاه أسد الدين شيركوه رحلوا إلى العراق، وخدما مجاهد الدين بهروز، الذي كانت له مكانه مرموقة لدى السلطان السلجوقي فولاه حكم بغداد ، ونظرا لعامل الصداقة بينهما اسند اليه حراسه قلعه تكريت نجم الدين

[1] قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،القاهرة، ص23

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972 م، ص12

أيوب، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة بينهما، وذلك لأن نجم الدين ساعد الأتباع زنكي الذي انهزم على يد الخليفة المسترشد سنه 526 هـ 1311 /م، فسهل له طريق العودة إلى الموصل بعد محاولة هذا الاخير الخروج عن السلطان السلجوقي. [1]

كانت تلك الحادثة سببا في نشوء العلاقات الودية بين الطرفين تعددت الروايات بعد ذلك حول مغادرة نجم وأخيه من تكريت حيث ان العلاقات الودية بين بهروز والطرف الآخر سرعان ما انقلبت إلى عداء، فوصلوا إلى الموصل سنه 532 هـ 1138 / م فأحسن عماد الدين زنكي وفادتهما وأسند حكم بعلبك إلى نجم الدين أيوب الثامن ، وكانت ليلة هجرتهما نحو الموصل ليلة ميلاد صلاح الدين[2].

قتل بعدها عماد الدين زنكي على قلعة جبل سنة 541 هـ 1146 /م وأرسل محي الدين وأتابعه معين الدين إلى نجم الدين ليسلم إليهما بعلبك على أن يعطوه إقطاعا جليلا بدمشق، وأكمل ابن واصل كلامه بأن سبب تسليم نجم الدين حكم بعلبك بأنه راسل الأمير سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي ليسلم إليه بعلبك ويرسل إليه من يحفظها، فأبطأ عليه بسبب انشغالاته، وخاف نجم الدين أن تؤخذ منه عنوة، فسلمها إلى صاحب دمشق بسبب ذلك ،واتصل أسد الدين شركوه بن شاذي بخدمة نور الدين محمود، وصار حتى أخفى أتباعه، فاشتهر بشجاعته وإقدامه على الحرب، فزاده إقطاعا فصارت له حمص والرحبة وجعله مقدم عسكره.

المبحث الرابع :الأوضاع الداخلية في مصر والحملات النورية

تميزت الأوضاع العامة في مصر بالتدهور، وكان الضعف ينخر الدولة من مختلف الجهات فأصبحت لقمة سهلة ومحل أطماع الدول المجاورة لها، وكان الخطر الصليبي على علم بما يحدث في مصر، فاستغل الملك الصليبي بلدوين الثالث هذه الحالة، وهدد بغزو الديار المصرية وبقي على تهديده الى بعد ان وعده الوزير ابن رزيك باسم الخليفة العاضد الفاطمي بجزية سنوية مقدارها 160 ألف دينار، لكن الموت كان أقرب من بلدوين فتوفي سنه 557 هـ 1162 /م وتولى

[1] عبد الكريم بليل، الدور الاجتماعي والنفسي للبواكير لتصوف في المغرب الأوسط، تطوير ، مجلة تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية المجلد 6 العدد 2 ديسمبر 2019،ص76

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء، تح :محمد علي محمد أحمد، مؤسسة الأهرام، مصر، / 1997 ص309

حكم مملكة بيت المقدس اخوه أماريك الأول' أموري 'أو' عموري'، توقفت مصر عن دفع الجزية بعد وفاه هذا الأخير بالدوين ،وسلك هذا الأخير طريق أخيه بتوجيه الحملات نحو الجنوب بعد انحلال الخلافة الفاطمية نظرا للتحكم الوزراء في عزل وتعيين الخلفاء[1].

وازداد الأمر سوءا لمقتل طلائع ابن زريك وابنه ليحل محله شاور في الوزارة لكن حاجة ضرغام ثار عليه ودبر مؤامرة وعزله من منصبه وحل محله وهرب شاور من القاهرة استغل عموري الفرصة ووصل الى مصب دمياط سنة 558 هـ/1163م بحجة عدم دفع الجزية، ففاضت السدود وغرق النيل في المياه لكن ضرغام تصدى له مما جعل عموري يتراجع عن حملته.

يذكر ابن واصل في هذا الصدد" :ولما كانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وصل أمير الجيوش أبو شجاع شاور ابن مجير السعدي إلى دمشق مستنصرا بنور الدين علي ضرغام بن شوار الملقب بالمنصور "مما يدل على أن شاور كان مستعدا للتعاون مع شخص لديه القوة تستطيع الثأر له من ضرغام، فاشترط له أن يسير معه بجيشه مقابل منحه حصة من البلاد، أو أن يكون تحت إمرته، فكان نور الدين مترددا، فمن جهة يريد أن يقوي نفوذه ويوسع أملاكه، ومن جهة أخرى كان متخوفا على العساكر من خطر الطريق بسبب وجود العنف الصليبي وتوسطه بينه وبين الديار المصرية[2].

قرر نور الدين المضي قدما نحو مصر، ومساعده شاور وأمر أسد الدين بالتجهيز للمسير معه فتجهز وسار مع شاور وصلاح الدين سنة 559 هـ و 1164 م ،لكن ضرغام استنجد بالصليبيين وتعاهد لعموري الأول إذا ساعده أن تصبح مصر تابعه له، ولكن بفضل شريكه وخبرته العسكرية جعله يسبق الصليبيين ونجح في الوصول إلى القاهرة، وانتصر على جيش ضرغام وتخلى عنه جميع الأعوان، فقتل أثناء محاولة الهروب وتولى شاور الوزارة.

يقول أبو شامة : فهرب المنازع لشاور في الوزارة وقتل وطيف برأسه، وعاد شاور وزيرا وتمكن من منصبه.

---

[1] بلحوت نور الدين، الحارث بن أسد المحاسبي وخصائص مدرسة في التصوف، بتاريخ 13 فيفري2022 الساعة 23:00 http://tawaseen.com/?p=3642

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، الناصر صلاح الدين، دار القومية للنشر والطباعة، مصر، 1965 ، ص67

وأضاف ابن الورد بقوله :ووثب صلاح الدين ومن معهم على شاور وألقوه أرضا و أمسكوه في سابع بريع الأخر فهرب اصحابه ...فقتله شيركوه وأرسل برأسه إلى العاضد، ثم دخل القصر فخلع عنه العاضد الوزارة ولقبه الملك المنصور بأمير الجيوش[1].

تنكر شاور ل شيركوه وأخلف وعده، ومنعه من دخول القاهرة وطلب منه العودة إلى بلاد الشام فاحتل شريكه بيلبيس وعسكر فيها جيشه، وأرسل إليه يطلب منه ما اتفقوا عليه لكنه لم يجيبه و أرسل أسد الدين نوابه إلى مدينة بيلبيس، فتسلموها، وفي نفس الوقت اتجه شاور لطلب المساعدة لكن هذه المرة استعان بالفرنج، وخوفهم من نور الدين وقد تملكهم الرعب وخافوا خوفا شديدا فقرروا مساعده شاور.

يذكر ابن الأثير :أن الجيوش الإسلامية كانت قليلة وقدرت بألفي فارس ضد العساكر المصرية وفرنج الساحل، وقد استطاعوا هزيمتهم في معركة البابين، ووصل إلى الاسكندرية فتسلمها بمساعده أهلها وناب عنه صلاح الدين فيما عاد هو إلى الصعيد سنه 156 هـ 1166 /م.

كما أرسل عموري كذلك بطلب إلى الإمبراطور البيزنطي وعرض عليه مساعدته في حمله مزدوجة على مصر، وسارع عموري في حملته الثالثة سنه 564 هـ 1168 /م، واستولى على القاهرة ولكن شاور قام بحرق الفسطاط وهدد بحرق القاهرة ايضا واتفق مع شاور على أن يدفع له مبلغ مائة ألف دينار.[2]

لم يجد عموري هذه المرة حليفا في مصر، فانسحب عائدا إلى فلسطين 564 هـ 1169 /م، أما شاور فقد طلب المساعدة مره أخرى من الصليبيين، ودبر مؤامرة للقبض على ش وأمرائه وقتلهم جميعا، وكان هذا الأخير قد تعاهد بدفع ثلث أموال البلاد لش كيروه، وأخذ يماطل لكسب الوقت انتظارا لوصول الصليبيين لنجدته، وبعدها اجتمع أعيان مصر على قتل شاور فقتل هو وولده الكامل في سنه 564 هـ 1169 م، ولكن الموت غدر بشيركوه لم يلبث أن توفي بعد شهرين جمادى الآخر 564 هـ 1169 م، فخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين.

المبحث الخامس :ظهور صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث

[1] مسعود بريكة، المتصوفة والسلطة في بجاية الحفصية، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، منشورات، مكتبة إقرأ، قسنطينة2013

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، ط2 ، بيروت، 2008 م، ص 21

تولى الوزارة على مصر خلفا لعمه شيركوه من طرف الخليفة العاضد ،الذي خلع عليه ولقبه بالملك الناصر، أما عن كيفية ولايته يحدثنا ابن الأثير أن جماعه من الأمراء النورية أرادوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة العاضدية بعده، وهم عين الدولة الباروقي، وقطب الدين، نبال، وسيف الدين المشطوب الهكاري ،وخال صلاح الدين شهاب الدين محمد الحارمي ،وساانده الهكاري، واستطاع ان يفتح معه المشطوب والحارمي وغيرهم، الا البا رقي فاعرض قائلا :أنا لا اخدم يوسف، وعاد الى نور الدين بالشام.

إذا فمنهم من أثبت ولائه له، ومنهم من عاد جراء توليه الخلافة إلى الشام، وقد عرف العاضد بشجاعته وإقدامه وسداد رأيه متسارع إلى تقليده الوزارة.[1]

لقد كانت الوزارة بالنسبة لصلاح الدين في خدمه الخليفة العاضد بمثابة فترة انتقالية في حياة هذا البطل لتألق نجمه، ولكن أحداث كثيرة مرت حالت دون أن يثبت قوته واستحقاقه لهذا المنصب وقد تأكد أنه من أجل إكمال ما بدأه عمه أسد الدين شيركوه ومحاربة الخطر الخارجي المتمثل في الخطر الصليبي، عليه أولا البدء بحل المشاكل الداخلية من مؤامرات وفتن وغيرها، ومن بين أخطر المؤامرات التي تعرض لها الجيش الفاطمي المكون من عدد كبير من الفرسان البيض معظمهم من الأرمن الذين خدموا الجيش الفاطمي منذ أيام الوزير بدر الجمالي، فبدأ صلاح بإنشاء جيشه الخاص، وقام بإخراج طوائف السودان والأرمن من القاهرة، ومن ثم اندلعت حركه التمرد بقياده مؤتمن الخلافة وبنى صلاح الدين سور دائر بالقاهرة ومصر وكلف بهاء الدين قواقوش بالديار المصرية[2].

سنة 565 هـ 1169 /م سعى قائد الجند السودانيين إلى الوقوف دون استمرار حكم صلاح الدين حيث أنه في حال استمراره قد يؤدي إلى القضاء على الخلافة الفاطمية، ولعله كان يريد خلافه الوزير شاور ولكن لم يستطع، مما أدى به إلى حياكة المؤامرات ضد صلاح الدين، وحاول الاتصال مع عموري ملك بيت المقدس، غير أن صلاح الدين اكتشف مؤامرته حيث ارتاب في أحد اتباعه في شكل خفين الذين اتخذهما رسول مؤتمن الخلافة إلى عموري الأول وبهذا نجح في القبض عليه.

---

[1] سامية مصطفى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط1،2003،ص58

[2] وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، ط1 ، القاهرة، 1407 هـ، ص70

تتبع صلاح الدين كل ما له علاقة بحركة عمارة اليمني، وكل مؤيد للحكم الفاطمي، وإصدار أوامر بترحيل كافة الأجناد وحاشية القصر والسودانيين إلى أقصى بلاد الصعيد، وقبض على كثير من السودانيين فكووا بالنار في وجوههم وصدورهم.

أما عموري ملك بيت المقدس فلم يعلم بنبأ القبض على المتآمرين وفشل خطته الموضوعة لغزو مصر، وتوفي سنه569 هـ 1174 /م، وقد حاول افرنج صقلية اقتحام الاسكندرية، لكن المسلمين تصدوا لهم وأحرقوا بعضا من سفنهم، وعند وصول صلاح الدين سارع لمهاجمه النورمان، و اخترق بعض سفنهم واختار الباقون فكرة الانسحاب بعد تكبدهم خسائر فادحة[1].

عندما استقر صلاح الدين الأيوبي في منصب الوزارة في مصر، ساعة إلى جملة من الاصلاحات والتصدي لجميع المشكلات بحكم منصبه الجديد، فهو كان موزع الولاء، فهو قائد الجيش نور الدين صاحب الشام، وهو بهذا الوضع وزير لخليفة شيعي قائد لأمير سني، وقد كان بهذا ولاؤه مضطرب وغير مؤكد لنور الدين ، لذلك سعى للقضاء على المذهب الشيعي، بداية تعيين قضاه السنيين من المذهب الشافعي، فقام بعزل قضاه مصر من الشيعة سنه 566 هـ 1170 /م، وولى قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس الهذباني الشافعي، وألغى مجالس الدعاة الفاطميين، وعمل على ازاله اصول المذهب الشيعي، فأنشأ المدارس منها :مدرسه الشافعية المالكية، وقام بإلغاء المكوس والضرائب الغير المشروعة للتخفيف عن الناس، وبهذا استعاد المذهب السني فيما أخذ المذهب الإسماعيلي في التراجع تدريجيا، فقد كان أنصاره قليلون.

مزج صلاح الدين العمل السياسي بالفعل العسكري والإجراء الاقتصادي، فتمكن بفضل حنكته من تنظيم مختلف شؤون دولته، فقام بتنظيم حركه التجارة، وقام بإصلاح أسوار مصر، ودبر مؤامرة للقبض على أمراء الدولة الفاطمية ،جعل محلهم الامراء الشاميون[2].

ألح نور الدين محمود على صلاح الدين من أجل إعلان نهاية الخلافة، لكنه تمهل في ذلك، وبعد فترة من التردد أعاد الخطبة للخليفة العباسي في أول جمعة من محرم سنه 567 هـ 1171 /م انتهى دور الدولة الفاطمية السياسي في التاريخ، وتهيأ الجو لقيام الدولة الأيوبية.

المبحث السادس : حوصلة حول قيام الدولة الأيوبية

[1] النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تح :مريم قاسم الطويل، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت،1995،ص85

[2] عرب دعكور، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم، منتدى سور الأوزبكية، بيروت، 2010 م، ص 150

يرجع نسب بني أيوب إلى أيوب بن شادي بن مروان، ورغم الجدل الذي أثار حول أصلهم، إلا أن الراجح أنهم من بلدة تسمى دوين، وهم من الأكراد الروادية ومن بطن من بطون الهذبانية.

ترجعوا الأمارات الأولى لبداية حكم بني أيوب :أن نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شاركوه رحلوا إلى العراق وخدموا مجاهد الدين بهروز، وقد كانت له مكانة مرموقة عند السلطان سلجوقي، ف ولاه حكم بغداد، وولى نجم الدين أيوب حراسة قلعة تكريت.[1]

لم تدوم هذه العلاقات الحسنة طويلا، فسرعان ما ساءت ذلك لأن نجم الدين قام بمساعدة الأتابك زنكي، وسهل له طريق العودة إلى الموصل بعد انهزامه على يد الخليفة المسترشد ومحاولة خروجه على السلطان السلجوقي. بينما ساءت العلاقات بين نجم الدين أيوب ومجاهد الدين بهروز توطدت بينه وبين الأتابك زنكي لمساعدته له.

ازدادت العلاقات سوءا، فطرد نجم الدين وأخيه شيركوه من تكريت، مما دفعهما إلى السير نحو الموصل سنة 532 هـ/1138م .فأحسن الأتابك عماد الدين زنكي وفادتهما وأسنده حكم بعلبك لنجم الدين أيوب.

قيل أ ن ليلة مغادرة نجم الدين أيوب وعائلته، هي ليلة ميلاد ابنه يوسف صلاح الدين الأيوبي.

توفي بعد ذلك عماد الدين زنكي سنة 541 هـ 1146 /م، وسلم نجم الدين بعلبك إلى ابنه نور الدين محمود، وعند دخول شيركوه بن شادي في خدمة نور الدين، ونظرا لشجاعته وإقدامه على الحروب، أعجب به نور الدين وصار من أخص أتباعه، وأقطعه حمص وحلب ا ولرحبة وجعله مقدم عسكره.

كانت الأحداث والظروف استثنائية التي شهدتها مصر، وبغض النظر عن الظروف الاجتماعية التي كانت تنخر الدولة، أوجدت أزمة الوزراء الذين أصبحوا يتحكمون في أمور الدولة، وصاروا بمثابة الحكام، فكان الحاكم لا يمتلك أي شرعية، فهم يتحكمون بعزل، وتعيين من يشاؤون فصارت

1 قلعة تكريت : ذُكر في معجم البلدان أن تكريت بفتح التاء والعامة ينطقونها بكسر التاء، كانت تكريت قلعة حصينة بناها الرومان، وكان اسمها عندهمMoeniatigridis (موينياتيغريديس) ومعناها قلعة دجلة، وذُكِرت المدينة في النصوصالآشورية في كتابات الملك الآشوري توكولتي نينورتا الثاني 884 – 890 ق. م، ورد ذكر مدينة تكريت أول مرة على رقيم طيني عُثر عليه في موقع بمدينة آشور وكان مؤرخاً بالسنة السادسة من حكم الملك المذكور.

بلاد مصر التي كانت محل أطماع الصليبيين لقمة سائغة نظرا للمشاكل التي مست جميع النواحي ومما زاد أطماعهم للقيام بالهجوم عليه ليس هذا فحسب بل أدى هذا التنافس إلى ظهور خونة اتحدوا مع العدو الصليبي فقط من أجل مصالحهم الشخصية.

ومما زاد الطين بلة الحملات التي وجهها الملك الصليبي بلدوين الثالث، وأكملها أخوه عموري الأول الذي خلفه بعد موته، وموت الوزير طلائع بن رازيك وابنه، ليحل محله شاور في الوزارة وصار عليه ضرغام الذي دبر مؤامرة وعزله عن منصبه، توجه هذا الاخير لطلب المساعدة من شيركوه ، لكنه تمرد واستعان بالصليبيين، مما أوجب قتله، توفي بعده شيركوه بشهرين فقط سنة 564هـ 1169 /م[1].

تولى صلاح الدين الأيوبي الوزارة على مصر خلفا لعمه شيركوه من طرف الخليفة العاضد الذي لقبه بالملك الناصر أخذ الملك الناصر على عاتقه مهمه الإصلاح ،وعمل على محاربة المذهب الشيعي وإزالة أصوله، واستبداله بالمذهب السني عن طريق بناء الكتاب والمدارس التي تلقن أصول المذهب السني، وبهذا يكون قد أطاح بالخلافة الفاطمية في مصر سنة 567 هـ 1171 /م وخطب للخليفة العباسي، وبهذا يكون قد خطى أول خطوة لبناء دولته[2].

المبحث السابع : كيفية سقوط الدولة الأيوبية

كيفية سقوط الدولة الأيوبية رحل صلاح الدين الأيوبي تاركًا وراءه دولة قوية وعظيمة الهيبة، حيث بسطت سلطتها على كثير من البلاد، فوحدت مصر والشام والحجاز واليمن، وحتى أجزاء من ليبيا والنوبة، فانحصر الصليبيون في شريط ضيق على ساحل شرق البحر الأبيض المتوسط في الشام، ولكن وبوفاة صلاح الدين الأيوبي وبعد ضمان تحرير القدس، بدأ يتَقَلَّصَ هم الجهاد ضد الصليبيين، وضعفت الهمم نسبيًا، كما افتتن الناس بالدولة الكبيرة، لكثرة الأموال وانفتاح التجارة واتساع البلاد، ونتيجةً لهذه العوامل وضعف أسس نظام الحكم، بدأت انقسامات شديدة وصراعات دموية في الدولة الأيوبية، فتفككت الدولة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، ثم أعاد الملك العادل

[1] المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى ، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،ص84

[2] Bernard Lewis, The Arabs in history, Hutchinson's university librarnry ,London,P152

توحيدها، ثم تفككت مرة أخرى، وأعاد الملك الصالح أيوب الكرة بتوحيدها، ولكن لم يتمكن أحد من توحيدها بطريقة تكفل الحفاظ على ديمومة وحدتها، ثم فاجأها الغزو المغولي وساهم في نهايتها.[1] كانت الأمة الإسلامية لا تزال بحاجة إلى شخصية كاريزمية مثل شخصية صلاح الدين الأيوبي، ومن المؤسف أنه لم يتم الاستعاضة عن ذلك بوضع نظام فعال لطريقة انتقال الحكم وتداول السلطة، كما لم يكن من أبناءه ملك بمستواه أو قريبًا منه ،كذلك لم تصلح وصايا العلماء والقضاة ومواعظهم في استدامة وحدة الدولة، وإن نجحت في إبقاء الأمة موحدة، أما أسباب سقوط الدولة الأيوبية، فيعيدها البعض إلى انتشار الظلم والبعد عن تحكيم الشرع كما كان زمن صلاح الدين، إضافة إلى كثرة الخلافات والصراعات، وبلوغ بعض السلاطين في الترف، مع توقف منهج التجديد والإصلاح الذي بدأ حتى قبل الدولة الأيوبية، ومن الأسباب كذلك عدم وجود تخطيط استراتيجي واضح لاستمرار النهضة على المدى البعيد، وضعف تقييم التجربة والأداء، إضافة إلى غياب العلماء الإصلاحيين.[2]

أما عن آخر الملوك الأيوبيين فكان " توران شاه" وهو ذو شخصية غير ناضجة، وقد كانت جلّ اهتماماته كانت في اللهو، كما أنّه اتصف بالغدر وبسوء الخلق وكفران العشير، وفوق ذلك بالجهل بشؤون الإدارة والسياسة والحكم إضافةً إلى ذلك، فقد منعه الغرور بعد النصر على ملك فرنسا لويس التاسع، عن رؤية مزايا وفضل من ساعدوه ممن حوله، فتارة يتنكر لفضل زوجة أبيه شجرة الدر، ويتهمها بنهب وإخفاء أموال أبيه، ويطالبها بإعادتها وتارةً يقوم بتهديدها بقسوة حتى تكوّن داخلها خوف شديد منه، فلم يشكر لها جميل صنعها مع أبيه الملك بعد موته، وجهودها في الحفاظ على سير الأمور في غيابه، ثم بعد ذلك بدأ يتنكر لكبار قادة المماليك، من أمثال العظماء فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس، فلم يشكر للمماليك فضل جهودهم في تحقيق الانتصار الرائع في موقعة المنصورة، فبدأ يسخر منهم مقللًا من شأنهم، ثم بدأ يسحب صلاحياتهم، ومن

[1] نهاية الدولة الأيوبية" islamstory.com، اطّلع عليه بتاريخ 04-07-2020.

[2] الأيوبيون بعد صلاح الدين" alsallabi.com، اطّلع عليه بتاريخ 22-07-2020.

جانب آخر شرع يُعَظِّمُ شأن بعض الرجال الهامشيين، والذين كانوا معه في حصن كيفا[1]، ثم بدا واضحًا أنه ينوي القيام بتغييرات كبيرة وواسعة النطاق في رجال ومؤسسات السلطة في مصر، وكل ذلك فقط في أول ثلاثة أشهر له من الحكم في مصر.[2]

وهنا خشيت شجرة الدرِّ[3] على الدولة وعلى على نفسها، فأَسَرَّت بما في نفسها إلى أمراء المماليك البحرية، وبخاصةً إلى فارس الدين أقطاي وركن الدين الظاهر بيبرس، حيث كانوا يُكِنُّونَ لها كل الاحترام والولاء، امتنانًا منهم لكونها أرملة سيدهم الملك الصالح رحمه الله، وقد كانت علاقة الاحترام هذه لها من القوة ما تجعل آثارها تبقى حتى بعد موت الملك، كما وجد المماليك البحرية في نفوسهم مثل ما تقول شجرة الدر، فاجتمع رأيهم على الإسراع بالتخلص من توران شاه، وذلك قبل أن يتخلص منهم. واتفقوا على قتله. وبالفعل فقد تم ذلك في 27 محرم 648 هـ، وذلك فقط بعد سبعين يومًا من اعتلائه عرش مصر، وانتهى بذلك عهد آخر ملوك الأيوبيين في مصر، ولم يبق منهم إلا فروع صغيرة في بعض مدن الشام الصغيرة إلى حينٍ من الزمن.4

المبحث الثامن : أسباب سقوط الدولة الايوبية

بعد أن مات صلاح الدين الايوبي كانت الدولة لازالت قوية متماسكة، ولكنه قد كان قسم دولة الايوبيين بين اخوانه وابنائه وقد كانت تلك هي بداية الانهيار، فقد شهدوا الكثير من التفرقة والنزاعات فيما بينهم.

---

[1] حصن كيفا : حصن كيفا بالتركية Hasankeyf : كانت بلدة تركية قديمة تقع على ضفاف نهر دجلة وهي في محافظة بطمان في جنوب شرق تركيا. يبلغ عدد سكان البلدة نحو 7,464 نسمة (2000). تعد الآن منطقة أثرية وسياحية يتوافد أليها السياح من معظم بلدان العالم.على الرغم من الاعتراضات المحلية والدولية، فقد غمرت المياه المدينة والمواقع الأثرية كجزء من مشروع سد إليسو .بحلول 1 أبريل 2020، وصل منسوب المياه إلى ارتفاع 498.2 مترًا ، الذي يغطي المدينة بأكملها

[2] الحسبة خلال العهد الأيوبي"، openedition.org، اطّلع عليه بتاريخ 06-07-2020 على ساعة 18:30

[3] شجرة الدر أو شجر الدر، امرأة لا تتكرر كثيراً في التاريخ، لها طابعها الخاص الذي تجلى في قوتها وشجاعتها وجرأتها، وعقلها وحكمتها، لها قدرة كبيرة على القيادة، كانت جارية من جواري الأمير «نجم الدين»، تميزت بالذكاء الحاد والفطنة، والجمال والجاذبية، متعلمة تجيد القراءة والغناء، واختلف المؤرخون في تحديد هويتها.

[4] التتار من البداية إلى عين جالوت – لمحة سريعة عن الدولة الأيوبية رابط المادة"، ar.islamway.net، اطّلع عليه بتاريخ 04-07-2020 على ساعة 14:30

حيث انه قد تولى نور الدين حكم دمشق ولكنه ساء التصرف وقد تسبب في حدوث الكثير من المشاكل للدولة الأيوبية، وقد تولى أيضا عثمان حمك مصر، وتولى اخوه صلاح الدين باقي حكم الشام، واخذ ابن أخو صلاح الدين حكم اليمن وأيضا أجزاء من الحجاز.

تلك التفرقات الكبيرة التي حدثت جعلت الباب مفتوح لكل الصراعات والخلافات بينهم، مما جعلت المسلمون مشغولون في انفسهم وقد نسوا العدو الصليبين حتى ان هناك عدة حروب قد نشبت بين الأفضل وبين العزيز الامر الذي انتهى بهزيمة الأفضل وتم عزله عن منصبه من ولاية دمشق واعطائها لعمه ابي بكر، ومن بعد ذلك توفي العزيز عماد الدين، فاخذ مكانه عمه أبو بكر، فكانت تلك خطوة أخرى لإعادة الدولة الأيوبية الى عزها، ولكن في ذلك الوقت كان الصليبيين تشن الكثير من الهجمات الداخلية على بلاد الشام، ولكن استطاع أبو بكر ان يتصدى لها.

ولكن بعد ان توفى أبو بكر الايوبي، تفرقت أيضا المملكة بين أبنائه الثلاثة، فاخذ مصر وحكمها الكامل، واخذ دمشق المعظم عيسى، واخذ الاشرف موسى حكم باقي الشام، وبذلك التخبط والاختلاط كانت الفرص الكبيرة للعدو في ان تدمر الدولة الأيوبية، فشنت الحملات الصليبية الكثير من الهجمات على مصر بشكل خاص، وبالرغم من قوة الكامل محمد الا انه في حملة دمياط والتي كانت عام 618هـ، قد تنازل طواعية عن بيت المقدس لملك المانيا فريدريك الثاني في عام 625هـ، وقد كان ذلك من أكبر الغلطات على الاطلاق التي ارتكبها الحكم الايوبي، وبالرغم من الإنجازات الكبيرة التي قام بها الا ان التاريخ قد نسى كل تلك الإنجازات وتذكر له تلك الغلطة فقط.

بعد ان مات الكامل محمد تولى الصالح أيوب وقد كان أفضل حكام الايوبيين على الاطلاق، فقد استطاع ان يسترد بيت المقدس، وعسقلان ودمشق، وقد عانى كثيرا من عمه الذي كان من اكبر اعدائه، ولكن في نهاية حياته قد هجمت الحملة الصليبية السابعة ولكن الصالح أيوب قد رابط في المنصورة حتى انه في ذلك الوقت قد أصيب بمرض شديد والذي كان سبب في موته.ولكن قد اخفت جاريته شجرة الدر خبر موته، وقد قالت انه لازال مريض، وقد منعت الناس من رؤيته، ولكنها اجتمعت بالقادة والامراء واخبرتهم وقررت ان تخبر ابنه الأكبر توران شاه، وقد كان في الشام في ذلك الوقت، وبالفعل جاء توران شاه وقاد الجيش وحقق النجاح الكبير وانتصر على الصليبيين.

وقد كان توران شاه يكره ابيك وبعد انتصاره استدار الى زوجة ابية وقادة الجيش، وهم ما تبقوا من المماليك البحرية، وقد خطط الى التخلص منهم ومن شجرة الدر، الامر الذي جعل شجرة الدر

تتآمر عليه مع قادة المماليك للتخلص منه، وبالفعل اجتمعوا عليه وقتلوه بسيوفهم وتفرق دمه بينهم، وبعدها اتفقوا على ان يولوا عز الدين أيبك التركماني، وقد كانت تلك هي بداية دولة المماليك ونهاية الدولة الأيوبية.

خلاصة الفصل

تأسست الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين (صلاح الدين الأيوبي) عام 1174 م، وهو كردي من مدينة تكريت في العراق حالياً بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام 1193 م، تم تقسيم الإمبراطورية بين أبنائه وكان الحكام الأيوبيون في حالة حرب مستمرة مع الصليبيين والمغول كما ساهمت الصراعات الداخلية على السلطة وضعف القيادة في تراجع الدولة الأيوبية انهارت الدولة الأيوبية في نهاية المطاف عام 1250 م عندما أطاح المماليك، وهم طبقة عسكرية من الجنود العبيد، بالسلطنة الأيوبية وأنشأوا إمبراطوريتهم الخاصة في مصر.

الخاتمـــــة

الدولة الأيوبية هي دولة إسلامية نشأت في مصر، وامتدت لتشمل الشام والحجاز واليمن والنوبة وبعض أجزاء المغرب العربي. يعتبر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية، كان ذلك بعد أن عُيِّن وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ونائبًا عن السلطان نور الدين محمود في مصر، فعمل على أن تكون كل السلطات تحت يده، وأصبح هو المتصرف في الأمور، وأعاد لمصر التبعية للدولة العباسية، فمنع الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للخليفة العباسي، وأغلق مراكز الشيعة الفاطمية، ونشر المذهب السني.

أهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث:

أولا – لم يكن التصوف الانشغال بالعبادة وحدها والابتعاد عن مجريات الاحداث ،بل مواكبة ظروف العصر والمشاركة الفعالة في الاحداث القائمة آنذاك.

ثانيا –مساهمة الصوفية في تثبيت دعائم الدولة الأيوبية وتحمسهم في القضاء على المذهب الشيعي واعلان المذهب السني.

ثالثا –اعتماد الملوك الايوبيين في معظم الامور على المتصوفة واستشاراتهم و الأخذ برأيهم وإتخاذهم كأصدقاء وندماء وإغراقهم بالأموال والاقطاعات والمناصب.

رابعا –سعى بعض المتصوفة لاصلاح ذات البين بين الاسرة الايوبية وحل المشاكل التي كانت تعصف بالملوك الايوبيين بين الحين والاخروايضا تنبيههم اذا رأوا منهم انحرافا عن الشرع والدين وان سلوكهم قد يضر بالمصلحة العامة.

خامسا –شارك الصوفية في حركة الجهاد الاسلامي ضد الغزو الصليبي،اما عن طريق رفع الروح المعنوية وشحذ نفوس المقاتلين ووعظهم او الاستشهاد في سبيل الله فضلا عن ت ولي بعضهم القيادة الحربية.

فهـــرس المحتويـــات

إهداء.....

شكر و تقدير.....

مقدمة .....أ-ث

الفصـل الأول : مدخـــل للتصـوف

تمهيد.....1

المبحث الأول : نشأت التصوف.....2-4

المطلب الثاني : تعريف التصوف..... 4-8

- المفهوم اللغوي.....4-6
- المفهوم الاصطلاحي.....6-8

المبحث الثاني : أنواع التصوف..... 9-10

المبحث الثالث: أهم رواد التصوف 10-12

المبحث الرابع: مصادر التصوف.....13-21

أولا: المصادر الداخلية 13-17

- القران الكريم 13-14
- السنة النبوية المطهرة 14-17

ثانيا: المصادر الخارجية 17-21

أ- الديانة المسيحية.....17-19

ب- الديانة الفارسية.....19

ت- الديانة البوذية الهندية.....19

ث- الديانة اليهودية 20

ج-الفلسفة اليونانية.....20-21

خلاصة الفصل.....22

الفصل الثاني: صلاح الدين والزنكيون

تمهيد.....23
المبحث الأول :نهاية الحكم الفاطمي وأثره على العلاقات بين الطرفين.....24- 26
المبحث الثاني : صلاح الدين والصالح إسماعيل.....27-30
المبحث الثالث :التوسع الأيوبي باتجاه الشام.....30-33
المبحث الرابع :الدور الأيوبي بعد وفاة الصالح إسماعيل 33-36
المبحث الخامس :تعقيب حول علاقات صلاح الدين مع الزنكيين.....36-39
خلاصة الفصل 40

الفصـــل الثالث :قيـــام الدولـــة الأيوبيـــة

تمهيد.....41
المبحث الأول :أصل الأيوبيين.....42-43
المبحث الثاني : نشأت الدولة الأيوبية 43-46
المبحث الثالث :بداية حكمهم.....46-47
المبحث الرابع :الأوضاع الداخلية في مصر والحملات النورية.....47-49
المبحث الخامس :ظهور صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث.....49-51
المبحث السادس : حوصلة حول قيام الدولة الأيوبية.....51-53
المبحث السابع : كيفية سقوط الدولة الأيوبية.....53-55
المبحث الثامن : أسباب سقوط الدولة الايوبية.....55-57
خلاصة الفصل 58
خاتمة 59
فهرس المحتويات.....60-61
قائمة المراجع.....62-68

مراجع بلغة العربية

- **القرآن الكريم**

1. سورة الأنبياء :الآية 90
2. سورة النحل: الآية 80
3. سورة الحديد: الآية 20
4. سورة المنافقون : الآية ص9
5. سورة النحل :الآية 44
6. سورة الأحزاب: الآية21
7. سورة الكهف: الآية64
8. سورة الأحزاب : الآية28 –29
9. سورة المائدة: الآية 82

- **الكتب**

1. ابن الزيات، لتشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، حقيق أحمد التوفيق ط1 , 1404هـ 1984 /م.
2. محمد عبد المنعم الخفاجي : الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة، القاهرة 1938.
3. سلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسنٌ ، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ،حققه وعلق عليه :مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2.
4. القشيري: الرسالة القشيرية ، دار الكتاب العربي بيروت ، د.ت ،د.ط .
5. السهروردي :عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي : بيروت لبنان ، د.ط ، 1403 هـ.
6. علي زيور : النظريات في فلسفة الوجود والعقل والخير ، أسئلة الأمسيات و المعرفيات والقيمات ، دار النهضة العربية : بيروت لبنان ، 1426 .هـ ، 2006 م.

7. الجرجاني : التعريفات ، طبعة حلبي ، القاهرة مصر ، د.ط ، 1938 م.
8. الغزالي : روضة الطالبين وعمدة السالكين ، دار السعادة مصر ، د.ط ، 1924 .
9. ابن سينا : الإشارات والتنبيهات ، تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة ، د.ط ، 1948 م.
10. ابن خلدون : المقدمة ، دار العلم ، ط 5, 1419 ، 1984 م.
11. الطوسي، للمع، تح :عبد الحليم لزمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر.
12. الرسائل الصغرى الشيخ ابن عابد الرندي ، نشر الأب بولس نويا اليسوعية ، المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان ، د.ط ، 1357 هـ، الرسالة السادسة عشر.
13. السهروردي :عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي : بيروت لبنان ، د.ط ، 1403هـ .
14. أحمد ابن عجيبة ومحمد الحراق، عبد المجيد الغصن، اشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنينْ 19/18 م، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1415هـ 1994م.
15. محمد الطيب : إسلام المتصوفة ، رابطة العقليين العرب ، دار الطلائع : بيروت :لبنان ، ط1 ، 2007م .
16. عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منب البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى دار الخيل القاسمي للنشر2007 .
17. محمد العبدة وطارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، هنداوي لنشر المعرفة والثقافة.
18. الكلابادي التعرف لمذهب أهل التصوف ،مكتبة الكليات الزهرية ،القاهرة مصر ، ط3 ،1400 هـ
19. عرفان عبد الحميد : نشأة الفلسفة الصوفية ، نقال عن نيكلسون مؤلف دائرة معارف القرن العشرين ، ط8 .
20. أبو بكر جابر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصرة، م(ب .ت).

21. محمد عبدالفتاح سيد أحمد : التصوف بين الغزالي وابن تيمية ، دار الوفاة :المنصورة 2000 .

22. سنن ابن ماجه ،كتاب المقدمة ،باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، رقم الحديث 42 سنن ابن ماجه القزويني ، دار الجيل بيروت.

23. إبراهيم مكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ، ج 2 ، دار المعارف: القاهرة ، 1983 م.

24. عادل محمود بدر : دراسات في الفلسفة الصوفية عند الإسلاميين بمنظور جديد ، ج1 ، المنوفية: مصر ، 1992 .

25. نيكلسون مستشرق انجليزي عالم بالتصوف الإسلامي (1868- 1945م) والفارسية ودرسهما ،له من الكتب بالإنجليزية: تاريخ الآداب العربية و الصوفية في الإسلام ودراسات في التصوف الإسلامي ترجمه إلى العربية أبو العلا العفيفي.

26. نيكلسون : الصوفية في الإسلام ، ترجمة نور الدين ، مصر ، د.ط، 1951 م.

27. دي لاسي أوليين: الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة إسماعيل البيطار ، بيروت لبنان،د.ط ، 1972 .

28. جميل صليبيا : المعجم الفلسفي ، ج 2 ، بيروت لبنان ، دار الكتاب اللبناني ، 1982م.

29. لمي فايق احمد : التصوف في دراسات المستشرقين ، مجلة التربية الأساسية ، المجلد العشرون، العدد الثاني والثمانون ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية بغداد العراق.

30. ماسيين ومصطفي عبد الرازق ، لبنان ، د.ط، 1984 م.

31. عبد الحميد عبد مبكور، نظرات في التصوف، دار الهاني، القاهرة ،2006.

32. عبد الحكيم عبد الغني قاسم صاحب كتاب الدائب الصوفية ومدارسها، بمدرسة حسن البصري ،مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية1999 .

33. المرتضى الزبيدي، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تح :صلاح الدين المنجد، دار الكتاب، ط2 ، لبنان، 1983 م.

34. قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،القاهرة.

35. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية بيروت، 1972 م.

36. المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء، تح :محمد علي محمد أحمد، مؤسسة الأهرام، مصر، / 1997 .

37. سعيد عبد الفتاح عاشور، الناصر صلاح الدين، دار القومية للنشر والطباعة، مصر، 1965 .

38. مسعود بريكة، المتصوفة والسلطة في بجاية الحفصية، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، منشورات، مكتبة إقرأ، قسنطينة2013

39. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار الفاطس، ط2 ، بيروت، 2008 م.

40. سامية مصطفى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين ،مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط1،2003.

41. وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، ط 1،القاهرة ،1407 هـ.

42. المباهي المالكي، تاريخ قضاة الأندلس، تح :مريم قاسم الطويل، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت،1995.

43. عرب دعكوا، تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم، منتدى سور الأوزبكية، بيروت، 2010 م.

44. المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى ، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت.

45. إحسان إلهي ظهًير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1426ـ - 2005.

46. محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية(حروب الفرنجة في المشرق)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، 2011 م.

47. أسامة حسن، الناصر صلاح الدين، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1 ، الهرم، 1997م.

48. بشير جلطي، حقيقة التصوف بٌن التأصيل والتأثًير ، دار الكتب العلمية، بًيروت.

49. السير هاملتون .آ.ر.جب، صلاح الدين الأيوبي" دراسات في التاريخ الإسلامي"، تح :يوسف ايبش، بيروت، 1995 .

50. ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح :سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية دمشق،1654 ،ج 2.

51. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، تح :محمد زينهم عرب، يحي سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، ج 3 .

52. ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح :أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،1971.

53. إحسان إلهي ظهًير ، التصوف المنشأ والمصادر، دار ترجمان السنة، البكستان، 1981.

54. علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار الفكر الحديث للنشر، ط1 ،مصر ،1952.

55. عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية(:التاريخ السياسي)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997 م.

56. عبد الحميد عبد مبكور، نظرات في التصوف، دار الهاني، القاهرة 2006.

57. سلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بًنوت لبنان ط الثانية 2003.

58. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1972 م .

59. الشعراني عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار في مناقب العلماء والصوفية، ضبطه وصححه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بًيروت.

60. قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي" قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1 ، بيروت، 1992م.

61. القشًني أبو القاسم ، الرسالة، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف دار الشعب القاهرة ،1989.

62. ابن القاضي، درة الحجال في غرة أمساء الرجال، تح: أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

- **رسائل و أطروحات**

1. الطاىر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجرينٌ14-15الديلادينٌ، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد العزيز فيلالي ،جامعة الجزائر، قسم التاريخ،2008 -2009.
2. محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري، القسم الأول، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط 1980-1981.

- **مجلات و صحف**

1. عفاف غرزول، الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (6-10هـ/12-16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد2 ، العدد01.
2. عبد الكريم بليل، الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير لتصوف في المغرب الأوسط، مجلة تطوير تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية المجلد 6 العدد 2 ديسمبر 2019.

- **مواقع إلكترونية**

1. نهاية الدولة الأيوبية"، islamstory.com، اطّلع عليه بتاريخ 2020-07-04.
2. الأيوبيون بعد صلاح الدين"، alsallabi.com، اطّلع عليه بتاريخ 22-07-2020
3. الحسبة خلال العهد الأيوبي"، openedition.org، اطّلع عليه بتاريخ 2020-07-06
4. التتار من البداية إلى عين جالوت – لمحة سريعة عن الدولة الأيوبية رابط المادة"، ar.islamway.net، اطّلع عليه بتاريخ 2020-07-04
5. الإسلام الصوفي العراقي/ عن مجلة ميزوبوتاميا، جنيف / http://www.mesopotamia4374.com

مراجع بلغة الأجنبية

1. Bernard Lewis, The Arabs in history, Hutchinson’s university librarnry ,London.

الملخـص

البحث محاولة لتتبع التصوف في بلاد مصر و الشام في العصر الأيوبي (٥٦٧ –٦٤٨هـ/ ١١٧١ –١٢٥٠م) باعتباره كان ُ يمثل أحد أهم التيارات الدينية التي حظيت بقبول العامة وبرز دورهم على أكثر من صعيد حيث لم يقتصر دور الصوفية على الجانب ُإنما شمل جوانب الحياة الم عن مساهماتهم السياسية والجهادية البارزة في ُ الديني ،وإختلاف الفكرية والاجتماعية والاقتصادية فضلا مواجهة الغزو الصليبي من خلال مشاركاتهم الميدانية في ساحات الوغى كما كان لهم دورهم الفاعل في ترسيخ الأمن الداخلي ُ للدولة الأيوبية ، حيث شغل بعض شيوخ الصوفية مناصب سياسية مرموقة ، وكانوا في كثير من الأحيان بمثابة المستشارين أو السفراءً موقف المعارضة للساسة الأيوبيين إذا وجدوا أن سلوكهم قد خرج عن الشرع أو أضر بالمصلحةّ للسلاطين، وربما وقف بعضهم أحياناّ تم تقسيم البحث الى ثلاث فصول رئيسية الفصل الأول خصص لمدخل لصوفية و الفصل الثاني خصص لقيام الدولة الأيوبية و الفصل الثالث خصص لصلاح الدين والزنكيون

La recherche visait à retracer le soufisme en Égypte et au Levant à l'époque ayyoubide (567-648 AH / 1171-1250 après J.-C.), car il représentait l'un des mouvements religieux les plus importants qui ait été accepté par le public, et son rôle est apparu plus tard. à plus d'un niveau, car le rôle du soufisme ne se limitait pas à cet aspect, mais incluait des aspects. Leurs contributions politiques et djihadistes importantes aux différences religieuses, intellectuelles, sociales et économiques, ainsi que la lutte contre l'invasion des croisés à travers leur participation sur le terrain aux champs de bataille, a également joué un rôle actif dans la consolidation de la sécurité intérieure de l'État ayyoubide, car certains cheikhs soufis occupaient des postes politiques importants et ils servaient souvent de conseillers ou d'ambassadeurs en opposition aux politiciens ayyoubides.

S'ils ont constaté que leur comportement s'écartait de la charia ou nuisait aux intérêts des sultans, et que certains d'entre eux ont pu s'arrêter par moments, la recherche a été divisée en trois chapitres principaux. Le premier chapitre était consacré à une introduction au soufisme, le premier.

le deuxième chapitre était consacré à l'établissement de l'État ayyoubide, et le troisième chapitre était consacré à Saladin et aux Zengid.